مجلة شهرية

نور يسوع المسيح

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ الغالب

Issue No: 183 عدد:

November 2022 شهر تشرين ثاني

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دير القديس جيوارجيوس العامر للرُّوم الأرثوذكس في أيڤيا - اليونان

اليد اليمنى للقديس جيوارجيوس
اللابس الظفر ذخيرة مقدّسة
محفوظة في ديره العامر.

بما أنَّك للمأسورين محرِّرٌ ومعتقٌ،
للفقراءِ والمساكين عاضدٌ وناصرٌ،
وللمرضى طبيبٌ وشافٍ،
وعن الملوكِ مكافحٌ ومُحاربٌ،
أيُّها العظيم في الشهداء،
جيوارجيوس اللابس الظفر،
تشفع إلى المسيح الإله،
في خلاص نفوسنا.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد القديس الرسول يعقوب أخي الرب أول رؤساء أساقفة أوروشليم ٥-١١-٢٠١٧

«يَعْقُوبُ، عَبْدُ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، يُهْدِي السَّلاَمَ إِلَى الاثْنَيْ عَشَرَ سِبْطًا الَّذِينَ فِي الشَّتَاتِ. اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ.» (يع ١: ١-٤)

وبكلامٍ آخر احسبوه كل فرحٍ أيُّها الإخوة عندما تقعون في التَّجارب والأحزان المتنوعة، وستفرحون في هذه الأحزان والتَّجارب عندما تعلمون بأنّ إيمانكم يُمتحن عبر الأحزان، فيُنشئ ذلك صبرًا وقدرةً على التحمُّل وليكن هذا الصبر غير متزعزع، فيُنشئ ثمار كمالِكم حتى تكونوا كاملينَ وتامِّينَ ولا ينقصكم شيء، هذا ما يعلّمه **القديس يعقوب أخو الرَّبّ**.

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح،

أيها المسيحيون الزُّوار الأتقياء

مبارك الله أبو ربِّنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي أهَّلنا جميعًا في هذا اليوم البَهِيِّ وهذا النَّهار المبارك لكي نُعيّدَ لتذكار البارِّ المؤمن شهيد المسيح **القديس يعقوب أخي الرَّبّ أول رئيس أساقفة أورشليم**.

إنَّ لأبينا **القديس يعقوب** مكانةً مميزةً في كنيسة المسيح المقدسة وذلك لأن به قد اجتمعت الصفات، أو بالأحرى الرُّتب الثلاث «**الرسوليَّة**»، و«**رئاسة الكهنوت**»، و«**عضويَّة المجمع**»، كما يشهد بذلك ويؤكد عليه مرنِّم الكنيسة قائلًا: «إنك بصفة تلميذٍ للرَّبِّ اقتبلت الإنجيل، وبصفة شهيد لا تُرَدُّ خائبًا، وبصفة أخٍ للإله لك الدالة عليه. وبصفة رئيس كهنةٍ لك حقُّ الشفاعة. فتشفع إلى المسيح الإله في خلاص نفوسنا.»

يحثّنا **القدِّيس يعقوب رئيس الكهنة في رسالته الجامعة** أن نواجه بفرحٍ التَّجارب. «وهذا لأَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا.» (يع ١: ٣). وبكلام آخر إنّ الإيمان الطَّاهر والأصيل، يُظهر ويكشفُ من هُم أحباء الله من خلال التَّجارب والمِحَنِ كما يؤكد بذلك **القديس ثيوفيلكتوس** إذ يقول: «بأن التجارب تصيرُ سببًا للفرح لدى القديسين وذلك لأن التجارب والمحن تُبرهن وتُظهر قداستهم.»

إنّ الصبر لأجل المسيح والذي يعلِّمُ عنه **القديس يعقوب** ليس له علاقة باللامبالاة الفلسفيَّة والتي تُظهر الإنسان الذي يتعرَّض لهذه التَّجارب والأحزان، كأنه سلبيّ وغير مضطرب وبدون إحساس. ولكن الصبر لأجل المسيح هو ظَفَرٌ وتغلُّبٌ على الأحزان غير منقصة أو مزيلة شيئًا من شجاعة ونشاط المؤمن، بل على العكس تمامًا تُقوّي وتُشدِّد إيمانه وتحركه نحو الشُّكر والعرفان لله وتُكْثِر من قوَّته وتُلْهِبُهُ غيرة ومحبة لله. وعندما نصبرُ بجلادةٍ واضعين في فكرنا بأنَّ الله هو الذي سمح لنا بهذه التجربة، وبكل تجربة «ومهما طالت مدتها». فإن قبلناها (أي للتجربة) بطاعةٍ إلى حدٍ لا نفقد فيه سلامنا الداخلي، بل شاعرين بفرحٍ بهذه التجربة، حتمًا سيكون عندها صبرنا عملًا كاملًا وتامًّا.

إنَّ هذا العمل الكامل ليس هو إلَّا اكتساب النضوج الرُّوحي والذي من خلال هذا النضوج سنحصل على المواهب وكمال المسيح الأخلاقي، كما يكرز **القديس بولس الرسول**: «إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ.» (أفسس ٤: ١٣)

وبحسب القديس يعقوب: «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ.» (يعقوب ١: ١٢)

إنّ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» أي الحياة الأبديَّة في المسيح قد حازَ عليها قديسنا **الرسول يعقوب**، وذلك من خلال استشهاده، فأصبح بذلك نموذجًا يُحتذى به في الصبر والطاعة كما يقول **بولس الرسول**: «لأَنْ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ.» (رومية ١٤: ١٧)

قد تذوَّقَ مُسبقًا هذا البِرَّ والسَّلام والفرح في الرُّوح القُدُس جميع الذين يعرفون بأنَّ الكنيسة ليست مُنظَّمة اجتماعية على الأرض بل هي جسد **المسيح** السريُّ كما يقول **بولس الرسول**: «بِأَنَّ الْمَسِيحَ هو رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ.» (أفسس ٥: ٢٣)

إنَّ رئيس الكهنة الذي تُكرِّمه اليوم كنيستنا المقدسة يدعونا لكي نخضع لله ونطيعهُ، وأن نقف ونصدَّ حيلَ الشيطان ونقترب من الله حتى يقترب الله إلى قلوبنا. «فَاخْضَعُوا للهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ.اِقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ. نَقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ، وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ.» (يعقوب ٤: ٧-٨)

ويقول هذا **القديس يعقوب** متوجِّهًا بالأحرى إلى أولئك المسيحيِّين المشكوك بإيمانهم الذين يشبهون أمواج البحر. إذ يرغبُ هؤلاء بأن يمتلكوا في آنٍ واحد الله **والمال**، إذ يعبدون في وقت واحد الله والمال. لهذا فهو يؤكد بشدةٍ : « الرَجُلَ ذَا الرَّأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ.» (يع ١: ٨).

ويفسر **القديس أثناسيوس الكبير** أقوال **القديس يعقوب** هذه إذ يقول: «بأن الأشخاص ذوي النَفَسَيْن «الرَّأيَيْنِ» هم أولئك الذين ليس لديهم فكرة واحدة ثابتة بل هم باستمرار يغيِّرون أفكارهم، فتارةً يُمجِّدون ويمدحون هذه الفكرة بأقوالهم وكلامهم، وتارة يرفضون ويزدرون بتلك التي مجَّدوها سابقًا.

أيُّها الإخوة الأحبة إنّ الأيام التي نحيا فيها: «هي أَيَّامٌ شِرِّيرَةٌ.» (أفس ٥ :١٦) ، لهذا فلنسمع **القديس بولس الرسول** قائلاً: «فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لاَ كَجُهَلاَءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لأَنَّ الأَيَّامَ شِرِّيرَةٌ.» (أفسس ٥: ١٥-١٦) ، ولنقل مع **القديس يعقوب** أخي الرَّبّ: «هَا نَحْنُ نُطَوِّبُ الصَّابِرِينَ.» (يعقوب٥: ١١) أي فلنعتبر أولئك الصابرين بأنهم سعداء ومغبوطون.

ختامًا نتضرع إلى **القديس يعقوب** بما له من الدالة للمسيح بصفته أخٍ للإله وبشفاعاته بصفته رئيس كهنة يتشفع **إلى المسيح إلهنا** من أجل خلاص نفوسنا، وأن تتوقف الحروب في منطقتنا، ويعم الهدوء والسَّلام في قلوب السَّاكنين في هذه الأرض، وفي العالم أجمع.

آمين

كل عام ونعم بخير

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

أقوال للحياة

القديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس

الرَّجاء في الله: الرَّجاء في اللهِ يُعْتِق أولئك الذين وقعوا في الخطيئة، ويُعيد الجرحى إلى الصِّحة ويقطِّع أغلال السُّجناء. يُشرق الرَّجاء مثل الفجر الورديِّ في السَّماء المعنوي، وينير أولئك المُظْلِمين بوسخ الرُّوح الحزينة. إنه يصبّ بَلْسَمَ الرَّاحة على جراح القلب الذي في حداد.

الدَّواء الشَّائع: الصلاة هي غَوْثُ حياتنا: التحدّث إلى اللهِ، نسيان الأمور الدنيويَّة، والصُّعود إلى السَّماء. انَّها الدَّواء الشَّائع للأهواء، الدَّواء القادر على حمايتنا منها. إنَّها تُعطي الحياة، وهي ضمان للصِّحة وبُرعُمٌ يحمل الأمل. **الصلاة سلاحٌ عظيم**، وأمان غامر، وكنز كبير، وميناء ضخم، وملاذ آمِن.

تدريب جيد: الصبر فضيلة عند الرُّوح السَّخيَّة والكريمة. إنَّهُ مَؤَسَّسٌ على محبة أخيك. إنَّهُ الشَّهامة، وارتفاع الذِّهْنِ، وهو صديق الوداعة. الصبر هو شهادة على روح مدرّبة تدريبًا جيِّدًا وتُعَبِّر عن نفسه بالتعاطف، والأعمال الإنسانية والتواضع والعدل.

الرُّحماء: الرُّحماء دائمًا يتعاملون حتى مع سوء سلوك الغير بالصبر والوداعة، وإظهار التَّفهم تُجاه نواقص الآخرين وأخطائهم. إنَّهم يُرحِّبون بالجميع، ويتحدثون بلطف، يتصالحون مع الذين يؤذونهم ويغفرون للخطأةِ أعمالهم برحمةٍ.

الطريق الخطأ: إذا كنت شمّاتًا فأنت تسعَد لرؤية الناس الآخرين يعانون. أولئك الذين يفعلون ذلك يسعَدون لرؤية **عدوهم يموت**، وينسون أنَّ الموت سوف يأتي إلينا جميعًا. إنَّهم خُبثاء، متجهِّمون، ونظرتهم ماكرة. شفاههم ضيقة وافواههم مليئة بالمرارة. إنَّهم يزدادون سعادة من المعارك أكثر من السَّلام. طريقتهم في الحياة مشوّهة وهم في الطريق الخطأ.

مضيفو الخيرات: الصَدَقة هي فِعلٌ حسنُ النيَّة. إنَّها صوت داخلي يأتي من قلب نقي يحب جاره. في الجوهر، من الحقِّ أن نعطي ما نحن مدينون به لمن هم في الحاجة. لأن الأغنياء بما حصّلوا من اللهِ هم في نفس الوقت، مضيفو الخيرات التي أُعطيت إليهم بوفرة ومدبّروها.

الاعتراف: الاعتراف هو الكشف الطَّوعِيُّ والصَّادق عن الخطايا التي ارتُكبت – **من دون خجل أو تردُّد، ولكن مع لوم الذاتّ والندم** – أمام مَن عيّنته الكنيسة ليغفر الخطايا. لكي يكون الاعتراف حقيقيًّا وفعَّالًا، يجب أن يكون طوعيًّا وصادقًا، لأنَّ الاعتراف المتسَرِّع والمُرائي لا معنى له، لأنه ليس إملاءً حقيقيًّا من القلبِ، ولا هو تعبيرًا عن الندم أو مَظْهَرًا من مظاهر الرَّغبة بالشِّفاء. لا بُدَّ للاعتراف أن يتمّ من دون خجل ولا تردُّد، بل بشجاعة وإدانة للذَّات، لأن الشجاعة هي تعبير عن رفضنا **للخطيئة**، بينما العار يدلّ على غياب الشجاعة.

✝ رغم فقرها المُدْقِع، ورغم عَوَزِها الشَّديد، ورغم بيتها الصغير الذي يقع على قارعة الطريق، بقرية بيت عنيا الوضيعة، حَظِيَت **عائلة مريم ومرثا ولعازر** بمنزلة أثيرةٍ في **قلب الرَّبِّ يسوع**، الذي كان يُكِنُّ حُبًّا خالصًا لهذه الأسرة التَّقِيَّة. فقد صار بيتهم ملجأً له ولتلاميذه، وكلَّما واتته فرصة ليستريح، كان لا يتردَّد مُطلقًا أن يقرع بابهم. وهم بدورهم كانوا قد سبقوا ففتحوا قلوبهم للذي أحبَّهم أوَّلًا.

أحس **المسيح** بودِّهم، واختبروا حُبَّه. أحب فيهم تقواهم وورعهم، وأحبوا عمقه وبساطته. وتوطَّدت أواصر الحُبِّ والمودَّة بينهم جِدًّا بكل احترام ومهابة ورزانة. عاتبوه ولاموه (يو ١١: ٢١)؛ أما هو فبرفق امتصَّ عتابهم، واستساغ لومهم، وأجاب طلبهم.

ولما حضر **الرَّبّ يسوع** يوم **مات لعازر ودُفِنَ** بَكَوْا، فدَمَعَ ونَشَجَ. (نشجَ = أجهَشَ بالبكاءِ، ناحَ، بكى)؛ ولما فرحوا، جذل وتهلَّل. ولما دعوه للعشاء، استجاب بكلِّ ترحاب.

✝ أمَّا **لعازر** الذي أقامه الرَّبّ من الموت فكان أحد المتَّكئين معه. **ومرثا** ما فتئت مُنكبَّة على إعداد الوليمة تذرع البيت جِيْئَةً وذهابًا، تَسترِق السَّمْع بين الفينة والفينة لكلام الحياة.

✝ أمَّا **مريم** فحجزت لها مكانًا وعزمت بكل قلبها ألَّا تُغيِّره ولا تُفارقه، مُتمسِّكةً به جدًّا، مهما تغيَّرت الظروف ومهما تنوَّعت الضيوف؛ فقد احتجزت لها مكانًا عند قدمَي الرَّبّ، تسمع كلام النعمة الخارج من فمه. فعندما دخل الرَّبّ بيت **مرثا**، كانت أُختها **مريم** هي «الَّتِي جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلاَمَهُ» (لو ١٠: ٣٩).

وعند **موت لعازر** يصف **يوحنا الرسول** تصرُّف **مريم** فيقول: «فَمَرْيَمُ لَمَّا أَتَتْ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَسُوعُ وَرَأَتْهُ، خَرَّتْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَائِلَةً لَهُ: ”يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتَ هُهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي!“» (يو ١١: ٣٢).

أمَّا عمل **مريم** الخالد، والذي لم تبرح فيه مكانها عند قدمَي الرَّبّ، فكان يوم سكبت الطِّيب على قدمَي المُخلِّص قُبيل الصليب والآلام.

✝ تروي الأناجيل حادثة سَكْب الطِّيب في (متى ٢٦: ٦-١٣؛ ومرقس ١٤: ٣-٩)، أنَّ **مريم** سكبت الطيب على رأس الرَّبّ. أمَّا إنجيل **القديس يوحنا** فقال: إنَّ **مريم** سكبت الطِّيب عند قدمَي الرَّبّ. وفي كلتا الحالتين نجد أنَّ **مريم** قدَّمت كل ما عندها وأعطته للرَّبّ.

لقد ادَّخرت **مريم** كلَّ ما تملك واشترت «**قارورة طِيب نارين خالص كثير الثمن**»، لتُقدِّم **للمسيح** حياتها كلها ومشاعرها وحبَّها وشُكرها وإحساسها بالعرفان بالجميل مُذابة ومسكوبة بكلِّ الحُبِّ في أروع تقدمة، قارورة طِيب خالص، بحبٍّ خالص، وكثيرة الثمن، لأثمن حبيب، اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن (المسيح).

✝ إذًا، قارورة طِيبنا هي حياتنا التي نبذلها ونُقدِّمها للمسيح سرًّا وعلنًا حبًّا فيه؛ في تكريسٍ كُلِّيٍّ للرَّبّ، في صلاة لأجل جميع الناس، في تقوى وعبادة حارَّة؛ في سماع لكلمة الله وطاعة لوصاياه؛ في عِشرة حقيقية مع المسيح طوال اليوم؛ في هذيذ قلبي لا ينقطع ليلًا ونهارًا؛ في مقاومة حتى الدَّم بجهاد ضِدَّ كُلِّ **خطيَّة**؛ في عفَّة وقداسة مَرْضِيَّة للرُّوح القُدُس؛ في خدمة باذلة بكلِّ الحُبِّ ومن كلِّ القلبِ، في عطاء لا ينضب ولا يملُّ ولا يكُفُّ؛ في افتقاد لليتامى والأرامل، في زيارة للسجون، في خدمة للمرضى بمحبة فيَّاضة وطول أناة بفرح؛ في أُبوَّة كاملة نابعة من قلب الآب السماوي؛ في أعمالٍ صالحة مرضية، والأعمال الصالحة كثيرة، فاخْتَرْ ما يرتاح له قلبك واعمَلْهُ.

وهذا هو جواب **القديس أنطونيوس** على مَن سأله قائلًا: «ما هو العمل الجيِّد»؟ فأجاب وقال: «إنَّ الأعمال الجيِّدة كثيرة، لأنَّ الكتاب يقول: إنَّ **إبراهيم** كان مُضيفًا للغرباء وكان الله معه، **وإيليا** كان يُؤْثِرُ سُكنى البريَّة وكان الله معه، **وداود** كان متَّضعًا ووديعًا وكان الله معه، **ويوسف** كان حليمًا عفيفًا وكان الله معه. فالذي يحبُّه قلبك من كلِّ هذا، اعمله من أجل الله واحفظ قلبك».

✝ ثِق، أيُّها الحبيب، أنَّ كلَّ قارورة طِيب مسكوبة على رأس المسيح أو عند قدميه، هي إكرام لموت المسيح وصليبه، هي بشارة واعتراف بحبِّه وبَذْله في كلِّ العالم، هي كرازة حيَّة محفوظة ومصرورة في قلب الآب السماوي الذي يصنع لها تذكارًا لا يُمحَى أبدًا. هي كنزٌ محفوظ

يأخذه معه المسيح في جسده، ويتنشَّق الآب السماوي رائحته ممزوجة برائحة الجلجثة، رائحة دم المسيح.

الطِّيب الذي مسَّ قدمَي الرَّبّ وضعته **مريم** على شعرها (يو ١٢: ٣)، لأن قيمته صارت ثمينة جدًّا، فهو مسكوب على موضع الجروح – الرأس والقَدَمين – موضع الحُبّ. وشعر **مريم** أصبح مملوءًا من رائحة الطِّيب، بل وأصبحت **مريم** نفسها قارورة طِيب لا تُقدَّر بثمن، إذ حملت في نفسها ليس فقط رائحة ناردينها الذي سيزول مع الزمن، بل حملت رائحة طِيب الصليب، الطِّيب الذي يملأ العالم والأبدية، الطِّيب الذي لن تزول رائحته مُطْلَقًا، طِيب ذاك الذي لمَّا وُصِفَت ثيابه فقط قيل عنها: «كُلُّ ثِيَابِكَ مُرٌّ وَعُودٌ وَسَلِيخَةٌ» (مز ٤٥: ٨) (٢).

✝ وكذا نحن، أيها الحبيب، حينما نسكب طِيبنا على قدمَي الرَّبّ أو على رأسه بِكُلِّ الحُبِّ، فهذا الطِّيب يكون عزيزًا جدًّا ومُكرَّمًا في عينَي المسيح، ونصير نحن أنفسنا «رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلُصون... رائحة حياةٍ لحياة» (٢كو ٢: ١٥،١٦).

إذًا، لم يكن سَكْبُ الطِّيب على قدمَي الرَّبّ يسوع إتلافًا البتَّة، **فمريم** استردَّت الطِّيب في شعرها، بل وأصبح الطِّيب رائحة مجدها. وصارت رائحة الطِّيب تتدفَّق من شعر **مريم** كُلَّما تحرَّكت.

وكذلك بالمِثْلِ كل عمل روحي نعمله حُبًّا في المسيح، لا يمكن أن يكون إتلافًا، ولا يمكن أن يذهب هباءً، بل حتى الدموع محفوظة في زِقِّ الرَّبّ. «فاجعل دموعي أمامكَ كما في موعدك» (مز٥٥:٨)، وأعمالنا مكتوبة في سِفْره. «لأكونَ حَسَنَ الإرضاءِ قدَّام الرَّبِّ، في نور الأحياء» (مز٥٥:١٣)، «لأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ حَتَّى يَنْسَى عَمَلَكُمْ وَتَعَبَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَظْهَرْتُمُوهَا نَحْوَ اسْمِهِ، إِذْ قَدْ خَدَمْتُمُ الْقِدِّيسِينَ وَتَخْدِمُونَهُمْ» (عب ٦: ١٠).

مريم أخذت الطِّيب ودهنت به قدمَي المُخلِّص، ثم مسحت قدميه بشعر رأسها. فأخذت مِسْحَةً من قوَّة صلب المسيح وتكفينه في شعرها، وحملت في داخلها قوَّة موت المسيح وقيامته: «إذ قد رأينا قيامة المسيح فلنسجد للرَّبِ القدُّوس يسوع البريء من الخطأ وحده. لصليبك أيُّها المسيح نسجد، ولقيامتك المقدَّسة نسبّح ونمجِّد.. الخ» (القدَّاس الإلهي)، وهذا هو الإنجيل. لذا لا نعجب حينما نسمع أنَّ الرَّبَّ أوصى أنَّه حيثما يُكرَز بالإنجيل يُخبَر بما فعلته **مريم** تذكارًا لها.

✝ فما هي قارورتنا إلَّا جسدنا! «لَنَا هذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ لله لاَ مِنَّا» (٢كو ٤: ٧).

ولكي يخرج عَبَق طِيبنا الرُّوحي وعِطْر الكنز الذي أودعه الله فينا، يتحتَّم علينا أن نكسر القارورة كما فعلت **مريم**.

وكَسْر القارورة لا يتأتَّى لنا إلَّا **بكَسْر الذات وجحدها**، وبحَمْل الصليب؛ حينئذ يكمل علينا قول الكتاب فنكون «إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ، مُقَدَّساً، نَافِعاً لِلسَّيِّدِ، مُسْتَعِدّاً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ» (٢تي ٢: ٢١).

✝ أمَّا **يهوذا** الذي ثمَّن الطِّيب بثلاثمئة دينار، والذي ذَكَر الثمن **ليُشيع المذمَّة** بين الحاضرين – فهو هو الذي ثمَّن سيِّده بثلاثين من الفضة – فصارت حكمته جهالة، وباع السيِّد كعبد.

أمَّا الرَّبّ يسوع الحنون فتصدَّى بدوره لكلِّ تقمقُم وتذمُّر من جانب المدعُوِّينَ، وحامَى عن **مريم**، بل وامتدحها وبرَّر عملها وزكَّاه وأوصى بذِكْره في الإنجيل ليصل الى مسامعنا، علَّه يجد رنينًا في قلوبنا، فنتمثَّل **بمريم**.

✝ أخيرًا «يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ، كُونُوا رَاسِخِينَ، غَيْرَ مُتَزَعْزِعِينَ، مُكْثِرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، عَالِمِينَ أَنَّ تَعَبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلاً فِي الرَّبِّ» (١كو ١٥: ٥٨).

السيِّدة أُرانيَّا كوسما، – م بسيلاندو ١٨٧ – باترا، اليونان تروي لرئيسة دير ماليفي العامر للرُّوم الأرثوذكس قائلةً:

حفيدي الياس البالغ من العمر ٢٤ عامًا، كان يقود السيارة، وفي مرحلةٍ ما، خرج عن المسار الصحيح، وسقط بالسيارة من على منحدر.

استدعى مريم العذراء الكليّة القداسة ميروفلوتيسا (المفيضة الطيب) لتعينه. وقد تحطّمت السيارة تمامًا، ولكن الطفل خرج حيًّا هناك. وكان حفيدي يحتفظ بقطعة من القطن تحوي الطيب المقدس للعذراء ماليفي، العذراء مريم صنعت العجيبة، لأنه لم يُصَب بأذى بتاتًا.

شكرًا إلى العذراء مريم صاحبة الدَّير العامر دير ماليفي على عظيم محبتها، وعلى هذه العجيبة التي أنقذت حفيدي الغالي من الموت المحتوم.

الحثّ على التعاليم الإلهيَّة

للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

إذا كان بل بُدَّ في مُداواة الاجسام البشريَّة ان يكون الطبيب ماهرًا، والمريض مُطاوعًا؛ ونحن قد علمنا قُدْرَةَ الشَّافي لامراضنا، والحامل لاوجاعنا، فكم يجب ان ننتصب **لطاعة** اوامرِه، ونُبادر إلى قبولها، والقيام بها، ونتعلَّم منه قوانين المُداواةِ الرُّوحيَّة، ومنافع الادوية السَّماويَّة، لِنقتَدر على مُعالجة **الامراض الشيطانيَّة**، نُنقذ المؤمنين من عذابها ونستحقَّ ان يمسك بايدينا ويشفي امراضنا وينشلنا من اعماق الرذائل.

واذا كان الذين يتعلَّمون العلوم الدنيويَّة يحتاجون في اثباتها الى المذاكرة والتِّكرار، وملازمة الدرس ليلًا ونهارًا. وكُلّ ذلك لاجل ضبط الالفاظ وتحرير المعاني، وايضاحها وتقريرها بالاذهان. وكذلك الذين يغرسون الحقول ويزرعون الاراضي يحتاجون في اخصابها الى التعهُّد بالسَّقْي، والقيام بخدمة الارض الواجبة لها. وإلَّا فالذين يتعلَّمون يُضَيِّعون اتعابهم واوقاتهم، والذين يغرسون ويزرعون يخسرون خراج الارض وَكُلَفِهَا. فكذلك الذين يسمعون المواعظ ويتعبون في استماع التعاليم الإلهيَّة، ينبغي لهم ان يحفظوها بالمفاوضة فيها والتكرار لكي تثبت في اذهانهم **وتُعطي ثمرًا صالحًا**. وعلى ذلك قول **الرسول يعقوب**: كونوا فَعَلَةً للنَّاموس، ولا تكونوا مستمعين فقط. لأن الذي يسمع ولا يعمل بما سَمِعَهُ، يُشبه الرجل الذي ينظر وجههُ في المرآة، فانَّهُ عند رفعِهِ ايَّاها ينسى المثال الذي نظره فيها. «وَلكِنْ كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ، لاَ سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نُفُوسَكُمْ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَامِعًا لِلْكَلِمَةِ وَلَيْسَ عَامِلاً، فَذَاكَ يُشْبِهُ رَجُلاً نَاظِرًا وَجْهَ خِلْقَتِهِ فِي مِرْآةٍ، فَإِنَّهُ نَظَرَ ذَاتَهُ وَمَضَى، وَلِلْوَقْتِ نَسِيَ مَا هُوَ.» (يعقوب ١: ٢٢-٢٤)؛ ويكون كالذي بنى بيته على الرَّمل كما قال الكتاب الإلهيُّ: من يسمع كلامي هذا ويحفظهُ يشبه رَجُلًا جاهلًا بَنَى بيته على الرَّمل. فانَّهُ اذا هبَّت الرِّياح، ونزلت الامطار وجرت الانهار وصدمت ذلك البيت، سَقَطَ وكانت سقطتهُ عظيمةً، لانَّ اساسَهُ كان على الرَّمل.

ويقول أيضًا: مَن منكم حكيمٌ فليُرِني حُسنَ اعمالهِ من تصرُّفِهِ بتهذيب الحكمة. ولاجل ذلك لا أَكُفُّ عن تذكاركم وتنبيهكم ومفاوضتكم في ما يجب، حتَّى أراكم ذاكرين دروسكم **حافظين تعاليمكم، عاملين باقوال رَبِّكُم متغايرين على عمل الفضائل** مُبتعدين عن طُرق الرَّذائِل، لكي أُسَرَّ انا بِحُسنِ أعمالكم، وابتهجَ بجميل مُجازاتكم، وافرحَ بدخولكم مساكن النَّعيم. فإن قُلتم وما الذي يدلُّ على ذلك من أعمالنا؟ قلتُ: هو أن أراكم مُحِبِّين لعمل **الفضائل كالصلاة والصوم والصدقة والرحمة والمحبة وامثال ذلك**. ومُبغضين **للرذائِل كالغضب والحَسَد والنميمة وحُبّ المال الذي هو سببٌ لِتَوَلُّد الشُّرور كلّها واداةٌ لعمل الهالكين.**

فإن قُلتَ: وكيفَ نقدر على بُغض المال، وهو قد جُعِلَ واسِطَةً لتحصيل الأمور الضروريَّة التي نحتاج اليها.

قلتُ: إنَّ الكلام عن المال الذي يدخل من الوجوه المُحَرَّمة وَيُنفَق في سبيل اللذَّات العالميَّة لا في ما يُكتَسَب من الوجوه الجائزة، ويُنفَق في اللوازم الضروريَّة لِقِوام الحياة وفي مصالح الفقراءِ.

ولا تظنَّ انَّ الازدراءَ بالأموال امرٌ جسيمٌ، فإنَّكَ اذا امعنتَ النظر، ترى كثيرين من الناس يفعلون ذلك طلبًا للمديح من الناظرين، وذلك انَّكَ تجد قومًا يتركون الاموال الكثيرة وَيَدَعُونَ الاملاك والضِّياع والامتعة والزِّراعات ويطوفون في القفار، وينقطعون في الجبال والمغاور طلبًا للمديحِ من الناس الذين ينظرونهم أو يسمعون أخبارهم.

وتَجد آخرين يُجهِدُونَ انفسهم، ويتعبون ويحتالون ويَظلِمون وَيُحَصِّلون الاموال من اقبح الوجوه، ولأجل **محبة المديح من الناس**، يصرفونها في ثمن الملابس الفاخرة والمراكيب والاواني النفيسة، وغير ذلك ممَّا لا تدعو الحاجة اليه.

وترى قومًا آخرين يهتمُّون باعداد الاطعمة الشَّهِيَّة وتصفية الخمرة اللذيذة، ويُعدُّون انواع النُّقل (المكسّرات) والفواكة والازهار والملاهي، وينهمكون في أمورٍ أُخرى كثيرةٍ يطول شرحها، ويدعون أُناسًا من الأغنياء والأكابر ليتنَعَّموا معهم، ويحصلوا بذلك على المديحِ

والافتخار. وربَّما لو أتاهم في ذلك الوقت فقيرٌ أو جائعٌ، وطلبَ منهم ما يسدُّ جوعهُ بهِ لَرَدُّوهُ خائبًا، واحيانًا يشتمونهُ ويطردونهُ خارجًا. ولهذا تنقلب اكثر مسرَّاتهم الى الشُّرور والنَّكَد والمُخاصَمات المُزعِجة ونحو ذلك. فاذا كان هذا يغترم النفقات الجزيلة لينال المديح من النَّاس، وذاك يبذل النفقات الكثيرة في سبيلِ العُجْبِ والافتخار. والآخر يُبدِّد امواله في استعمال ما يستحيل سريعًا **الى الفساد** ويُقذَف بهِ الى المزابل. فكيف لا نتأمَّل هذه النقائص بعيون العقول، ونكشف عنها ستور الظلمات، وننتقدها بالاذهان السَّليمة والافكار المستقيمة، ونبتعد عن المنقادين الى استعمالها، المتمسِّكين باذيال الافتخار بها، لكي ننجُو من بحارها سالمين.

ويا للعجب كيف انَّنا ننفق الاموال الكثيرة ونصرف النفقات الجزيلة، وَنُتعِب اجسادنا واولادنا وخدَّامنا طَلَبًا للافتخار والمديح الذي يضمحلُّ كالدخان، ويمرُّ كالبروق والرِّياح، وينتسخ كالظِّل وينتشر كالهَباءِ، ولا نجعل هذه العناية في الذخائر الباقية التي لا تزول. وكيف يحسن بالعقلاء ان يطلبوا الشَّرف من معادن الخساسة، ولا يطلبون ذلك من الخالق عزَّ وجلَّ. وكيف يَجْمُلُ بنا ان نطلب المديح من العاجز والناقص والمتغيِّر والمائت والخائف والمنقَلِب والحقير والذَّليل، ونَعدَل عن الطَّلب من السيِّدِ القادر الحكيم الكامل الحيّ الباقي الذي لا يزول، الخالق لانفسنا واجسادنا، والمُدَبِّر لنظام حياتنا، والمُنعم علينا بكُلِّ هذه المواهب، والمُعِدِّ لنا ميراث النعيم الابديّ. فسبيلنا ان نقتفي آثار الافاضل، وَنُعْرِض عن مسلك الاراذل، ونتمسَّك بوصايا الهنا المفيدة الحياة طائعين، لكي ننال ملكوت ربِّنا لهُ المجد الى الابد، آمين.

« أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ.» (مزمور ١٣٨: ٧-١٠)

يجب أنْ تكون هذه الكلمات المُلْهَمة من اللهِ لكاتب **المزامير داود في أفكارنا في هذه الأيام**، حيث العالم بِرُمَّتِهِ مهتزٌّ بكُلِّ معنى الكلمة، وتأتي أخبار الأسى والصدمات والمصائب من كُلِّ الجهات. قبل أنْ تصل إلى التركيز على ما يجري في بلدٍ ما، تُذهلك أحداث أكثر تهديدًا قد تفجّرت في مكان آخر بشكل غير مُتوقَّع؛ وقبل أنْ تتلقفها، تَشْغَل انتباهك أخبار أخرى من مكانٍ آخر، وتقودك إلى إضاعة القضايا السَّابقة مع أنَّ أيًّا منها لم يبلغ خواتيمه. عبثًا يتشاور مُمَثِّلُو الدُّول من أجل إيجاد علاج للمعاناة المشتركة ويشجّعُ واحدهم الآخر قائلين: «سَلاَمٌ، سَلاَمٌ. وَلاَ سَلاَمَ» (إرمياء ٦: ١٤). المصائب في الأراضي حيث تتكشَّف لا تنتهي، فتبدأ فجأة كوارث جديدة في أماكن كانت تُعتبر آمنة وهادئة.

الذين يَفِرُّون من المشاكل في مكان ما يجدون أنفسهم وسط مشاكل أخرى في مكان أسوأ. «كَمَا إِذَا هَرَبَ إِنْسَانٌ مِنْ أَمَامِ الأَسَدِ فَصَادَفَهُ الدُّبُّ، أَوْ دَخَلَ الْبَيْتَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْحَائِطِ فَلَدَغَتْهُ الْحَيَّةُ!» (عاموس ٥: ١٩). أو كما يقول **النبي أشعياء**: «وَيَكُونُ أَنَّ الْهَارِبَ مِنْ صَوْتِ الرُّعْبِ يَسْقُطُ فِي الْحُفْرَةِ، وَالصَّاعِدَ مِنْ وَسَطِ الْحُفْرَةِ يُؤْخَذُ بِالْفَخِّ. لأَنَّ مَيَازِيبَ مِنَ الْعَلاَءِ انْفَتَحَتْ، وَأُسُسَ الأَرْضِ تَزَلْزَلَتْ.» (أشعياء ٢٤: ١٨).

هذا ما نراه يحدث في أيامنا. ينطلق الشَّخص إلى عمله بسلام فيسقط فجأة ضحيَّة عمل عسكري اندلع في مكان لم يتوقعه أحد. الشَّخص الذي يهرب من خطر العمل العسكري، يجد نفسه وسط أهوال الكوارث الطبيعية أو الزلزال أو الإعصار. ويلاقي الكثيرون حتفهم حيث يَفِرُّون، بينما يكون الآخرون على استعداد للمخاطرة بحياتهم بدلًا من إهدارها في أماكن تعتبر آمنة، لأنهم يتوقَّعون كوارث

أخرى يمكن أن تأتي قريبًا على تلك المناطق. يبدو أنَّهُ لا يوجد مكان على الكرة الأرضيَّة في الآونة الأخيرة يُشكِّلُ ملاذًا هادئًا وسلاميًّا من المشاكل في العالم.

كُلُّ شيء صار مُعقّدًا: سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا. «بِأَخْطَارِ سُيُول، بِأَخْطَارِ لُصُوصٍ، بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي، بِأَخْطَارٍ مِنَ الأُمَمِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ، بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ» على ما يكتب **الرسول بولس** (٢ كورنثوس ١١:٢٦). وإلى هذه الأخطار في أيامنا ينبغي أنْ نضيف: «أَخْطَارٌ فِي الْهَوَاءِ وَأَخْطَارٌ مِنَ السَّمَاءِ» وهي مُرعبة بشكلٍ خاص.

ولكن عندما كان هذا **المتقدم في الرسل المجيد بولس** يحتمل كُلّ المخاطر التي يذكرها كانت لديه تعزية عظيمة. كان يَعْلَم أنَّهُ يعاني من أجل **المسيح** وأنَّ **المسيح** سيكافئه على هذه المعاناة. «لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ» (٢ تيموثاوس ١:١٢). كان يعلم أنَّ الرَّبَّ سيمنحه القوَّة اللَّازمة لتحمّل المزيد من الضيقات، ولهذا السبب قال بجرأة: «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (فيليبي ٤:١٣).

إنَّ هذه الكوارث الحاليَّة مُرعبة للغاية بالنسبة لنا، فقد جاءت علينا لأنَّنَا لسنا ثابتين في الإيمان، ولأنَّنَا لا نتحمّلها من أجل **المسيح**. لهذا السَّبب، لا أمل لدينا في الحصول على الأكاليل من ورائها. وما هو أسوأ من ذلك، ويتركنا عاجزين في جهودنا لمواجهة مصائبنا، هو أنَّنَا لا نُدَعِّمُ أنفسنا بقوَّة **المسيح**. نحن **لا** نضع رجاءنا في اللهِ، بل في القِوَى والوسائل البشريَّة. نحن ننسى كلمات الكتاب المقدس: «لاَ تَتَّكِلُوا عَلَى الرُّؤَسَاءِ، وَلاَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَيْثُ لاَ خَلاَصَ عِنْدَهُ. طُوبَى لِمَنْ إِلهُ يَعْقُوبَ مُعِينُهُ، وَرَجَاؤُهُ عَلَى الرَّبِّ إِلهِهِ» (مزمور ١٤٥:٣ و٥). وأيضًا: «إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ، فَبَاطِلاً يَتْعَبُ الْبَنَّاؤُونَ. إِنْ لَمْ يَحْفَظِ الرَّبُّ الْمَدِينَةَ، فَبَاطِلاً يَسْهَرُ الْحَارِسُ» (مزمور ١٢٧:١). لا نفتأ نحاول إيجاد أساس ثابت بعيدًا عن اللهِ. وهكذا فإنَّنَا نعاني ما تَنَبَّأَ به **النبي**: «لِذلِكَ يَكُونُ لَكُمْ هذَا الإِثْمُ كَصَدْعٍ مُنْقَضٍّ نَاتِئٍ فِي جِدَارٍ مُرْتَفِعٍ، يَأْتِي هدُّهُ بَغْتَةً فِي لَحْظَةٍ» (إشعياء ٣٠:١٣). ويل لمن يميلون ضِدّ تلك الجدران! تمامًا كما يسحق الجدار المنهار أولئك الذين يميلون إليه، بنفس الطريقة، مع تدمير الآمال الكاذبة، سيهلك كُلّ من وضعوا ثقتهم فيها. سوف يكون أملهم مثل «عُكَّازَ قَصَبٍ». «عِنْدَ مَسْكِهِمْ بِكَ بِالْكَفِّ، انْكَسَرْتَ وَمَزَّقْتَ لَهُمْ كُلَّ كَتِفٍ، وَلَمَّا تَوَكَّأُوا عَلَيْكَ انْكَسَرْتَ وَقَلْقَلْتَ كُلَّ مُتُونِهِمْ» (حزقيال ٢٩:٧).

الأمر مختلف تمامًا عند الذين يطلبون المعونة من اللهِ. «اللهُ لَنَا مَلْجَأٌ وَقُوَّةٌ. عَوْنًا فِي الضِّيْقَاتِ وُجِدَ شَدِيدًا. لِذلِكَ لاَ نَخْشَى وَلَوْ تَزَحْزَحَتِ الأَرْضُ، وَلَوِ انْقَلَبَتِ الْجِبَالُ إِلَى قَلْبِ الْبِحَارِ» (مزمور ٤٥:١-٢).

ما من شيء يخيف مَن رجاؤه في اللهِ. هو لا يخشى لا البشَر ولا عمل **الشِّرير**. «اَلرَّبُّ نُورِي وَخَلاَصِي، مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ عاضد حَيَاتِي، مِمَّنْ أفزع؟» (مزمور ٢٦:١). إنَّهُ هادئ إذْ يعيش في بيته، «اَلسَّاكِنُ فِي سِتْرِ الْعَلِيِّ، فِي ظِلِّ الْقَدِيرِ يسكن» (مزمور ٩٠:١). مستعدٌّ للإبحار عبر البحر، «فِي الْبَحْرِ طَرِيقُكَ، وَسُبُلُكَ فِي الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ» (مزمو ١٩:٧٧). بجرأة، كما على أجنحة، يطير في السَّماء إلى الأراضي البعيدة، قائلًا: «إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ، وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ» (مزمور١٣٨:١٠-١١). هو يعرف أنَّهُ يُرضي الله لحفظ حياته «يَسْقُطُ أَلوف عَنْ جَانِبِكَ، وَرِبْوَاتٌ عَنْ يَمِينِكَ. أما إِلَيْكَ فلاَ يَقْتَرِبُون» (مزمور ٩٠:٧).

حتّى الموت لا يرهبه لأنَّ مَن **المسيح** هو حياته، الموتُ هو ربحٌ (فيليبي ١:٢١). «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ». وَلكِنَّنَا فِي هذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا. فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةً أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية ٨:٣٥-٣٩). «فَإِذْ لَنَا هذِهِ الْمَوَاعِيدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ» (٢ كورنثوس ٧:١).

هذا ما يقوله الرَّبّ: «حَلَّ قُيُودِ الشَّرِّ. فَكَّ عُقَدِ النِّيرِ، وَإِطْلاَقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَارًا، وَقَطْعَ كُلِّ نِيرٍ. أَلَيْسَ أَنْ تَكْسِرَ لِلْجَائِعِ خُبْزَكَ، وَأَنْ تُدْخِلَ الْمَسَاكِينَ التَّائِهِينَ إِلَى بَيْتِكَ؟ إِذَا رَأَيْتَ عُرْيَانًا أَنْ تَكْسُوَهُ، وَأَنْ لاَ تَتَغَاضَى عَنْ لَحْمِكَ. حِينَئِذٍ يَنْفَجِرُ مِثْلَ الصُّبْحِ نُورُكَ، وَتَنْبُتُ صِحَّتُكَ سَرِيعًا، وَيَسِيرُ بِرُّكَ أَمَامَكَ، وَمَجْدُ الرَّبِّ يَجْمَعُ سَاقَتَكَ. حِينَئِذٍ تَدْعُو فَيُجِيبُ الرَّبُّ. تَسْتَغِيثُ فَيَقُولُ: هأَنَذَا. إِنْ نَزَعْتَ مِنْ وَسَطِكَ النِّيرَ وَالإِيمَاءَ بِالأُصْبُعِ وَكَلاَمَ الإِثْمِ» (إشعياء ٥٨:٦-٩).

أيها الرَّبّ علّمني أن أعمل مشيئتك ويوم أدعوك استمع لي. فلتكن رحمتك علينا لأنَّنا عليك وضعنا رجاءنا.

الحقير يوحنا، أسقف شنغهاي

٣٠ آب، ١٩٣٧، عيد القديس ألكسندر نفسكي

القديس اسحق السوري

اللهُ يرسل الأمراض من أجل صحة الرُّوح ... إذا كنت تتذكَّر دائمًا ضعفك، فلن تتعدى حدود التعقّل.

القديس اغناطيوس بريانشانينوف

تعلِّم الحكمة الرُّوحيَّة أنَّ الأمراض وغيرها من الآلام التي يرسلها اللهُ إلى الناس تُرسَل من رحمة اللهِ الخاصَّة كدواء مَرِير. تتعاون أشفية المرضى لخلاصنا وعافيتنا الأبديَّة، بالتأكيد أكثر بكثير من الشفاء العجائبي.

القديس تيخن الزادونسكي

على الرغم من أنَّ المرض يُضعِف الجسد، إلَّا أنَّهُ يُقَوّي الرُّوح. إنَّهُ يُميت الجسد ولكنه يُحيي الرُّوح؛ يُضعف الإنسان الخارجي ويُجدِّد الدَّاخلي. ولكن على الرغم من أنَّ إنساننا الخارجي قد هلك، إلَّا أن الإنسان الداخلي يتجدَّد يومًا بعد يوم (٢ كورنثوس ٤:١٦). كيف يتمّ تجديده؟ إنَّه يتعلّم **التواضع والصبر وذكر الموت** ومنه التَّوبة القلبيَّة والصلاة وازدراء العالم والبطلان الدنيوي. من يريد أن يتفاخر عندما يكون مريضًا؟ يرى نهايته تقترب بسبب المرض، فمن سيرغب في الكرامة أو المجد أو الغنى؟ من سيجرؤ بلا خوف على أن يخطئ عندما يخشى دينونة الله؟ متى يصلِّي الإنسان بحرارة أكثر من شخصٍ يعاني المرض؟ يا للمرض! إنه دواء مرير ولكنه دواء شافٍ! كما يقي الملح تعفّن اللحوم والأسماك... كذلك يحفظ المرض روحنا من تعفن الخطيئة والفساد ولا يسمح للأهواء ... أن تتجدَّد فينا.

القديس سلوان الأثوسي

المرض والفقر **يواضعان** الإنسان حتى النهاية. جئت إلى أحد الآباء وهو مريض وسألته «كيف حالك؟» لكنه كان مستاءً من مرضه، وبدلًا من الإجابة، ألقى قبعته على الأرض. فقلت له: «الحمد للهِ على مرضك. وإلَّا كنتَ ستموت على نحو رَدِيء». (**المرض جعله يتواضع**).

الأنبا أشعياء

إذا أخذَكَ المرض، فلا تيأس أو تسقط بالرُّوح، ولكن اشكر الله أنَّهُ من خلال هذا المرض يُوَفِّرُ لك أن تكتسب شيئًا حسنًا... إذا شعرتَ أنَّ روحك مضطربة بسبب مرضك، فقل لها: أليس هذا المرض أسهل من جهنم، حيث ستذهبين إن لم تكوني ثابتة ومجالِدة في **الصبر؟**

القديس يوحنا الذهبي الفم

يأتي المرض من ضعف الجسد المتأتّي من الشبع.

القديس نيلس السينائي

اعترف بضعفك أمام الله، حتى تُشرق لك إمكانية النعمة... في المرض ، قبل الأطباء والأدوية، نستخدم الصلاة.

القديس باسيليوس الكبير

مثلما ينبغي تمامًا ألَّا نتجنَّب الفنون الطبيَّة ، كذلك ينبغي ألَّا نضع كل أملنا فيها. بل مثلما نستفيد من الفنون الزِّراعِيَّة؛ علينا أن نسأل الثمار من الرَّبِّ... كذلك عند الذَّهاب إلى الطبيب، عندما يكون ذلك ممكنًا، لا نترك الرَّجاء باللهِ .

القديس أنطونيوس الكبير

إعلم أنَّ الأمراض الجسديَّة هي صفة طبيعية للجسم من حيث الفساد والمادِيَّة. وهكذا، في حالة هذه الأمراض، يجب على النفس المتدربة على الصلاح أنْ تُظهر الشَّجاعة والصَّبر بامتنان وألَّا تلوم الله قائلة: لماذا خلقت الجسد.

القديس مكاريوس الكبير

إنَّ الذي خلق الرُّوح خلق الجسد أيضًا. وَكَوْنُهُ هو الذي يشفي الرُّوح الخالدة يمكنه أيضًا أن يشفي الجسد من الآلام والأمراض المؤقتة.

النور الإلهي

عظة القديس سمعان اللاهوتي الحديث

ظلمة عدم الإيمان

هناك تَضادٌ بين **النُّور** و**الظلمة** كما بين الإيمان وَعَدَمِهِ. «لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟» (٢كو٦:١٤)، وبين المعرفة والجهل وبين المحبة والكراهية. عندما قال الرَّبّ في البداية:«لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ.» (تك١:٣)، تَكَوَّنَ النُّور بلحظةٍ، وتبدَّدت الظُّلمة. ولكن عندما رحل النهار حلّ الليل مكانه. كان **آدم** في الفردوس في مجدٍ لا ينتهي إذ كان مُصانًا بإيمانه بالله. ولكن عندما تحوّل عن الله، بفعل **العدوّ**، حُكم عليه **بالموتِ** وطُرد من الفردوس. «فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا.» (تك٣:٢٣). تَعَرَّف (**آدم**) إلى الجسديَّات بدل الرُّوحانيَّات والإلهيَّات. وإذْ كانت عيْنا رُوحِهِ مغمضتين، سقط من الحياة التي لا تفنَى وصار يرى بِعَيْنَيْ جسده. لقد حوّل رؤية عينيه للأمور المنظورة إلى شعور بالشَّهوة «وَعَرَفَ آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ.» (تك٤:١). هذه المعرفة هي بالحقيقة جهل كُلّ خير، لأنَّهُ لو لم يخسر أصلًا معرفة الله ومعاينته لما كان توصل إلى هذه المعرفة. **وقايين** ما كان قتل **هابيل** أخاه لو لم يكن مُعْمًى ومُهَيَّجًا **بالحقدِ والحسدِ** ضدَّه. هناك أناس منذ ولادتهم تحت سيطرة العتمة، ولا يريدون مُعايَنَة النُّور الرُّوحي الذي خسره جدُّهم الأوَّل، لذا هم ينظرون إلى المستنيرين بهذا الضوء ويتكلمون كالأعداء لأنَّ كلماتهم تجرحهم. عندما يدخل شعاع النُّور بيتًا مُظلمًا يخترق ويعبر كالسَّهم. هكذا هي الكلمة المُوْحَى بها من النُّور للأشخاص المقدَّسين، إنها كسيف ذي حَدَّيْنِ، «لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ» (عب٤:١٢)، في قُلوب الدُّنْيَوِيِّين تُسَبِّب لهم الألم وتدفعهم إلى المعارضة والحقد بسبب جهلهم وعدم إيمانهم.

كيف يظلم الجهل حس المسيح

أَمَّا مَن يظن أنَّهُ يعرف وهو جاهل، حتى لو رأى ملاكًا نازلًا إليه من السماء. «وَلكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»!» (غلا ١:٨)، فهو سوف يدفعه بعيدًا **كشيطان**. حتى لو أتى إليه **رسول** أو **نبيٌّ** من الله فهو سوف يرسله بعيدًا **كسمعان الساحر**. أيَّةُ بلاهة هي أن يعتبر الأعمى الأصحاء عُميانًا، أو يعتبر المهذار كلام الحكماء بلا معنى؟ فالأعمى لا يُصدِّق من يخبره أنَّ الشَّمس لا تَسْطَعُ في الليل. وهو يتَّهم أنَّ من يخبره عن الظلام في الليل، والنور في النَّهار بالخداع، وفي شَكِّهِ هذا يصرف مُخبِّرِيهِ بجفاء. **الجهل** يعمي عقول الذين يَحْيَوْن في ظلام الشَّهوات، والذين لم يكتسبوا فكر المسيح «لأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ فَيُعَلِّمَهُ؟» وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ.» (١كو٢:١٦). إنهم يعتبرون من له فكر المسيح مجنونًا وعنهم قال **النبي داود**: «والجاهل والذي لا عقل له معًا يهلكان» (مز٤٨:١٠). إذًا هؤلاء الناس يُحَرِّفُونَ الكتب بحسب شهوات أنفسهم. «كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضًا، مُتَكَلِّمًا فِيهَا عَنْ هذِهِ الأُمُورِ، الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ، كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضًا، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ.» (٢بط٣:١٦)، ويهلكون أنفسهم. ليس الكتاب المقدس من يتعذَّب من هذا التَّحريف، بل الذين يُشَوِّهونَهُ. أنتم يا مَن تملكون الحُكم الصحيح على الأشياء، أخبروني كيف للأعمى أن يميّز أفكار الضَّوء بنفسه وهو أصلًا يرفض الإرشاد. كيف لِأَعمى العينين أنْ يقرأ الأحرف في كتب النُّور وهو لا يرى النُّور؟ أعمى الفكر لا يملك فكر المسيح في داخله، فكيف له أن يميّز الأفكار المُخَبَّأة في نور المسيح ؟ قد يقرؤها آلاف المرات بعينيه الجسديتين ولا أظنه قادرًا في يوم من الأيام على معاينة الرُّوحانيَّات غير المائتة، الحاملة النُّور في مكان مادي مُعْتِمٍ.

الله نور النفس

لا يخدعنّكم أحد؛ « إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ.» (١ يو١:٥). بقدر ما يتنقى المُتَّحدون به، ينقل لهم من بهاء لمعانه. عندما يُضاء قنديل النفس الذي هو العقل، نعلم أنَّ نارًا إلهيَّة أشعلته، وهي تُؤَجِّجُهُ وَتُذَكِّيهِ. إنَّها لأعجوبة عظيمة! الإنسان يتّحد بالرُّوح روحِيًّا وجسدِيًّا (ماديًّا) لأنَّ الرُّوح غير منفصلة عن الفكر، ولا الجسد عن الرُّوح. بالاتحاد في الجوهر يمتلك الإنسان أقانيم ثلاثة بالنعمة. هو إله وحيد بالتبنِّي، وله جسد ونفس وروح الهية ومنها أصبح شريكًا. وبهذا تحقق قول **داود**: «أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلي كلكم» (مز٨١:٦). إذاً أبناء العليّ وعلى صورته ومثاله. «وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا» (تك١:٢٦). هكذا يصبح الإنسان الذُرِّية المقدسة للرُّوح الإلهي (يو٨:٣)، وله قال الرَّبّ ويقول: «اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ. أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ.» (يو١٥:٤-٦). كيف يثبت فينا ونحن فيه؟ هو علَّمنا بقوله: «لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا» (يو١٧:٢١). وليثبّت سامعيه يُكمل: «وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي.» (يو١٧:٢٣)، «وَهؤُلاَءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي.» (يو ١٧:٢٥). واضحٌ أنَّ المولودين مُجدَّدًا من خلال الرُّوح القُدُس «وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ.» (يو٣:٦) يصبحون بِعَطِيَّتِهِ أخوة المسيح وأولاد الله وآلهة بالتبني، وبالنعمة يثبتون بالله وهو فيهم كما يثبت الآب في ابنه «صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ» (يو١٤:١٠) والابن في حضن أبيه بالطبيعة. «اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ.» (يو١:١٨) .

أعمى الرُّوح

أمَّا الذين لم يصبحوا هكذا ولم يتغيَّروا بالفعل والمعرفة والمعاينة، أَلَا يستحون أنْ يدعوا أنفسهم مسيحيِّين؟ كيف يجرأون على فتح أفواههم والتكلم عن سرّ الله المكتوم بخفة، «وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (أف٣:٩) و «السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ وَمُنْذُ الأَجْيَالِ، لكِنَّهُ الآنَ قَدْ أُظْهِرَ لِقِدِّيسِيهِ» (كولوسي ١:٢٦)، وكأنهم مُسْتَلْقُونَ على سرير؟ أَلَا يستحون من اعتبار أنفسهم بين **المسيحيين والرُّومِيِّين**؟ كيف لا يرتجفون من مجالستهم الكهنة وممارستهم الطقوس الكهنوتيَّة والليتورجيَّة بجسد ودم السَّيِّد؟ أنا أتحيَّر من هذا. وكما قلت هذا هو **العمى** العقلي، وانعدام الحس والجهل المرافقين له، والوقاحة الناتجة عنه، وهي التي تجعلهم يدوسون الذهب الحقيقي والحجارة الأغلى، التي هي السيِّد المسيح نفسه حتى لو كان في الوحل. أيَّ **تهور** هذا؟ إنَّهُ يدفع كُلًّا منهم ليتسلق سُلَّمًا عاليًا ويجلس عليه فيظهر أعلى من الكثرة الباقية فيُحترم من قِبَلِهَا. من هم المسيحيُّون الذين سوف يُسمّون هكذا رجال باسم المسيح؟ هذا وَجَّهْنَاهُ إلى المتبجِّحين بمعرفتهم كل شيء، الذين يحكون عن هذه المعرفة ويظنون أنهم شيء وهم ليسوا شيئًا. «لأَنَّهُ إِنْ ظَنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ شَيْءٌ وَهُوَ لَيْسَ شَيْئًا، فَإِنَّهُ يَغُشُّ نَفْسَهُ.» (غلا ٦:٣). في حديثنا هذا أبرزنا كما على عمود، من هم المسيحيُّون وما هي طبيعتهم حتى يقارنوا أنفسهم بالمثال ويعرفوا بعدها أنْ يكونوا مسيحيِّين حقًا.

طلب نور المسيح بدموع التوبة

أما أنتم خدام المسيح المتشوقون للفهم وقد هيأتم آذانكم للسَّمع، فالسَّيد يصرخ إليكم من خلال الإنجيل المقدس: «فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلاَّ يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ. » (يو١٢:٣٥). «بالتوبة اجروا في طريق وصاياه» (مز١١٨:٣٢). اجروا، اركضوا قبل أن يدرككم ليل الموت. «يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ.» (يو٩:٤)، وتُرْسَلوا إلى الظلمة الأبدِيَّة. اجروا، ابحثوا، اقرعوا لعل باب مملكة الفردوس يُفتح لكم. «اِسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ.» (متى٧:٧)، «وَأَنَا أَقُولُ لَكُمُ: اسْأَلُوا تُعْطَوْا، اُطْلُبُوا تَجِدُوا، اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. » (لو١١:٩)، وتدخلوا إلى الفردوس ويكون في داخلكم. أما أولئك الذين سينتقلون من هذه الحياة الحاضرة من دون الوصول إلى النُّور، فكيف لهم أن يجدوه بعد رحيلهم؟ نحن أُوصِينا أن نطلب هنا، ونسعى هنا، ونطرق الباب بالتوبة والدموع، والسَّيد وعد بالعطاء إن نحن فعلنا هذا. إنْ رفضنا أنْ نفعل هذا ولم نُطِع سيِّدنا المسيح ولم نسعَ إلى الحصول على هذه المملكة فينا ونحن في هذه الحياة، فسنستحق سماعه قائلًا لنا عند انتقالنا: «**لماذا تبحثون الآن عن المملكة التي رفضتم عندما أعطيتها لكم؟ ألم ترفضوا عندما توسلت إليكم بجدِّيَّة أنْ تجهدوا أنفسكم بأخذها مني؟ ألم تحتقروها وتفضلوا الاستمتاع بالأشياء الأرضيَّة الفانية؟ بأية وسيلة أو كلمات سوف تكونون قادرين على إيجادها؟** »

إذًا أيُّها الإخوة والآباء، أنا أحضّكم على حفظ وصايا الله بشوق لنحصل على الحياة والمملكة الأبدِيَّة. رجائي ألَّا نسمع في هذه الحياة القول بأنَّ: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ.» (يو ٣:٣٦)، ولا في العالم الآتي، «فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!» (متى٧:٢٣)، «لاَ أَعْرِفُكُمْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ!» (لو١٣:٢٥)، بل يا أخوة لنستمع لذلك الصوت المبارك: «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ ...» (متى٢٥:٣٤-٣٦)، الآن تمتَّعوا ببركاتي التي لا توصف التي هي **الحياة الأبدِيَّة**».

ليمنحنا الله هذه الحياة بنعمة ربنا يسوع المسيح له المجد إلى الأبد آمين.

دير القديس جيوارجيوس في إيڤيا – اليونان

على الجانب الجنوبي الغربي من جبل تيليثريون وعلى مسافة ٧ كم من قرية إيليا، يوجد **دير القديس جيوراجيوس اللابس حُلّة الظفر التاريخي**، على ارتفاع أربعمئة متر، وقد تم بناؤه في موقع سِحْرِيٍّ رائعٍ وجميلٍ. إنَّ المنظر من الطريق الرئيسي عبر الطريق الفرعي من فوق قرية إيليا المجاورة للدير، ساحرٌ وفتّان، وتبدو وكأنّها لوحة فنيّة رائعة.

هذا الدير التاريخي موجود منذ زمن غابر. أول سِجِّل مكتوب لدينا يوثق وجود **دير القديس جيوارجيوس** يعود إلى عام ١٥٢١ وذلك على يد **الرَّحالة التركي بيري ريس.**

وفقًا للتقاليد، تم بناؤه قبل ذلك بكثير على أنقاض معبد Phoebus Apollo of Selinunte ، إله الشَّمس والنور ، والذي كان قائمًا هناك منذ العصور القديمة.

اسم الدير ، إليا ، مشتق على الأرجح من اسم المعبد الوثني «أبولونوس إيليو».

إنَّه دير قديم يعود تاريخه إلى القرن الخامس عشر تمَّ ترميمه بشكل مُمَيَّز ، ويحتوي على أيقونسطاس رائع منحوت بالخشب وعلى العديد من الآثار التي تم إنقاذها من الغارات البربرية. والذخائر المقدسة، وفقًا للتقاليد، موجودة في مكان يدعى كاتاكومبي κατακόμβη **للقديس يوحنا المعمدان** (كاتاكومبي κατακόμβη = هي منطقة لدفن الموتى الموجودة تحت الأرض، مرتّبة في ممرات وقاعات منحوتة على جُدرانها، مع قبور داخلها، حيث توجد فيها عظام بشريَّة، وأصل الاسم مشتقٌ من مقطعين من الكلمة: كاتا كومبيس κατα κόμβης ما يعني «بالقرب من القبر») وهذه السراديب التي تدعى بـ **القديس يوحنا المعمدان** تتواجد تحت الدير فعلًا، تمّ اكتشافها ، بعد رؤية راعي مؤمن يسكن في المنطقة المحيطة بمعاضدة **أيقونة القديس يوحنا المعمدان العجائبيّة.**

توجد اليوم **أيقونة للقديس يوحنا المعمدان** على الأيقونسطاس المنحوت بشكل متقن. يُطلق على سراديب الموتى أيضًا اسم «العثور Finding»، لأنه تم العثور هناك على **أيقونة عجائبيّة للقديس جيوارجيوس اللابس حلّة الظَّفَرِ**. ويسمَّى أيضًا «Αλογοπατησιά Alogopatisia–» (أي دعسة الحصان) ، لأنه حتى يومنا هذا يعتبر ظُهور **القديس جيوارجيوس** الذي يمتطي صهوة جواده، أو سماع صوت حافر حصانه، ظاهرة شائعة. يُقال أنه منذ عدة سنوات كانت هناك آثار لدعسة الحصان. لسوء الحظ تم رصف المنطقة بالأسمنت والبلاط.

وبحسب روايات شهود عيان، مقابل البقعة التي يوجد فيها دير القديس جيوارجيوس اليوم ، في فالاندوفوني، كان نور سماوي يضيء المكان، وبدأ راهب تَقِيٌّ، برفع الصلاة والتضرعات، لمعرفة ما يدور حوله وخاصة هذا النُّور العجيب، فانطلق إلى تلك البقعة متفرِّسًا. وهناك وجد **أيقونة القديس جيوارجيوس حامل الكأس.**

وبعد فترة ، ظهر **القديس جيوارجيوس** لهذا الراهب التقيّ في نومه، وأشارَ إليه ببناء دير فوق « كاتاكومبي κατακόμβη سراديب الموتى». علمًا أنَّ الزاهد الورع قصد تكريس **دير للقديس يوحنا المعمدان**، والذي كان نقطة البداية لتأسيس **الدير الحالي للقديس جيوارجيوس.** (**الراهب خطط لبناء دير للقديس يوحنا المعمدان، لكن القديس جوارجيوس أشار إليه ببناء الدير على اسمه المقدس**).

خلال الاحتلال التركي ، تم تدمير هذا المكان المقدس ثلاث مرات،

والذي كان يقدِّم خدمات كبيرة **للأمة الرّوميّة المستعبدة**، كان ديرًا مزدهرًا للرهبان وفي وقت ما تواجد فيه ما يصل إلى ٣٥٠ راهبًا. يشير التأريخ الزمني (خرونولوچيا) للدير، الذي جمعه **رئيس الدير الكاهن المتوحد حنانيا** في أكتوبر ١٧٢٧، إلى شيِّ **١٠٠ رجل** على النَّار من هذه المنطقة في إيڤيا، **على يد الأتراك** وتعطل الدير لمدة ٢٠ يومًا. أخذ الأتراك الرهبان والآباء المتعلمين إلى خالكيذا (أكبر مدينة في جزيرة إيڤيا) لقتلهم.

لكن **الشهيد العظيم جيوارجيوس، وبقدرة الله تمّ تحريرهم.**

في الجانب الشمالي من الدير ، تم العثور على بقايا سور قديم ، مما يدل على وجود «برج قديم». يمثل الأيقونسطاس المزخرف،«الحاجز الأيقوني» ، وهو النقش الخشبي المميّز والوحيد في شمال إيڤيا بأكمله حيث يَعرض زخارف نباتيَّة وحيوانيَّة غنيَّة. يدمج فيها شخصيات من العهد القديم. تمثل «الأعمدة في الأيقونسطاس» صورًا لتقنية العهد البيزنطي الأول، للعديد من رَسَّامي الأيقونات المقدَّسة.

فوق القوس المنحني الجميل، يوجد نقش يذكر تفاصيل البناء: «١٨٣٤ شهر تموز بمساعدة رئيس الدير الأب المتوحّد سيرافيم ليغناداس».

يتمّ الاحتفاظ بالآثار المقدسة التالية في الدير:

جزء من كف اليد اليمنى للقديس جيوارجيوس المظفّر، عَبِق الرائحة.

قسم كبير من هامة القديسة مارينا.

هامة القديس ماماندوس.

فقرة (من العمود الفقري) للقديسة كيرياكي المقدسة.

جزء من خشبة الصليب المقدسة.

كما يتم الاحتفاظ بأجزاء من الآثار المقدسة للعديد من القديسين الآخرين.

لا يزال الدير يمتلك عدة ميتوخي

(ميتوخي= تعني بالأساس، مزرعة تابعة للدير، يوجد بداخلها عادةً كنيسة صغيرة، ومكان إقامة للرهبان الذين يزرعون المزرعة المحدَّدة. في المصطلحات الكنسيَّة، هي مُلحَق للدير الذي تنتمي إليه، حتى لو كان العديد من الرهبان يعيشون فيه بشكلٍ دائم) منها:

ميتوخي القديسة مارينا في بلدة إيليا السفلى.

ميتوخي للنبي إيليا في ثيسفيتوس.

ميتوخي على قمة جبل تيليثريون .

ميتوخي للقديس جيوارجيوس في «ثيرمسي في حمامات إديبسوس»

ميتوخي المقدس لرؤساء الملائكة.

ميتوخي الواقع بين بلدة إيليا وروفيس.

ميتوخي في أنارجيرو المقدس .

ميتوخي بالقرب من أعلى بلدة إيليا (تقريبًا كنيسة مدمرة حاليًّا).

إلى جانب الكنيسة القديمة ، توجد أيضًا كنيسة جديدة من طابقين عند المدخل مخصصة لشخصيتين فريدتين في البانتيون المسيحي اليوناني: **القديسة بوليكرونيا، والدة القديس جيوارجيوس** ، وابنة عم **القديس جيوارجيوس القديسة نينا، معادلة الرُسل التي من كبادوكيا، والتي نشرت الإيمان المسيحي في جورجيا.**

تم تحويل الدير إلى دير للنساء في عام ١٩٧١ وأعيد تأسيسه بالكامل من قبل المنتقلة الغالية (Abbess Pelagia Souliadou) ، وهي قائدة حقيقية عديدة الفضائل والمواهب ، والتي وقفت صامده، بمعونة **القديس جيوارجيوس**، أمام مصاعب كثيره ضمن جهودها لإعادة بناء الدير ومصلياته الـ ١٣ ، منذ عام ١٩٨٥ إلى ٢٠١٣، عندما وافتها المنية .

الأيقونات في الكنيسة، وعند القديس يوحنا الدمشقي

بروفيسور خريستوس كيركونيس : قسم اللاهوت في جامعة تسالونيكي

ترجمها عن اليونانيّة : دياكون مجدي وهبه

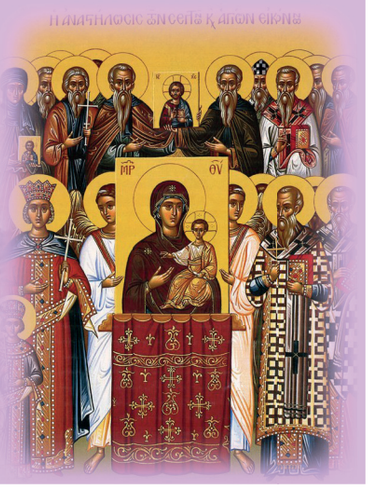

أوَّلًا: الكتاب المُقَدَّس، والتقليد المُقَدَّس مصادر لاستخدام التكريم للأيقونات المقدسة.

صفة من أهم صفات، التعريف **بالكنيسة الأرثوذكسيَّة** هي صفة «الاستخدام» وتكريم الأيقونات المقدسة «للإله الإنسان» يسوع المسيح، **لأمِّه مريم والدة الإله**، ولجميع قديسي الكنيسة وشهدائها.

وكما أنَّ وجود كنيسة أرثوذكسيَّة بدون أيقونات مُقدَّسة أمرٌ غير معقول، كذلك نفس الأمر يسري على بيوت المسيحيِّين الأرثوذكس الأتقياء. وذلك لأنَّ جميع المسيحيِّين الأرثوذكس يوجهون صلواتهم ، وطلباتهم، وتضرعاتهم، وكذلك تشكراتهم وتسبيحهم إلى الإله الواحد الحقيقي، أمام الأيقونات المقدَّسة.

واجب كل مسيحي أرثوذكسي هو التكريم، والتقبيل للأيقونات المقدَّسة لجميع القدِّيسين، كما تَقرَّر ذلك **في المجمع المسكوني السابع ٧٨٧م.** هذا الواجب يعني أنَّ ملء كنيسة المسيح يعترف بقدسيَّة الشخصيَّات والأحداث المُصوَّرة في كل أيقونة، ويكرِّم روحانيتهم بطريقة أرثوذكسيَّة، أي كما كرسوا حياتهم للمسيح، ويحترم وَيُقَدِّر كُلّ ما كابدوه أثناء وجودهم على الأرض من أجل مجد الله.

لهذه الأسباب، يأخذ دائمًا التكريم والتقبيل للأيقونات المقدسة مكانة أساسِيَّة في الهياكل المقدَّسة، وفي أعياد القدِّيسين والاحتفالات الدينية، وفي بداية ونهاية القُدَّاس الإلهي، وفى جميع الصَّلوات المقدسة. كما أن وجود الأيقونات المقدسة في أماكن الصلاة والعبادة يمنح هذه الأماكن خاصِيَّة القدسيَّة وذلك للإيمان بالحضور السِّريِّ للإله الحقيقي الواحد في الثالوث مع جميع قدِّيسيه فيها.

يخبرنا **القديس باسيليوس الكبير** أنَّ استخدام الأيقونات المقدَّسة يرجع إلى أزمنة الرُّسل. مع ملاحظة أن وجود وتكريم الأيقونات المقدَّسة لشخص يسوع المسيح، ولوالدة الإله مريم، في العصور الرسوليَّة كان محدودًا جدًّا (١). [ونفس القديس باسيليوس، لِتَجَنُّبِ] أي ربط خاطئ للأيقونات بالأوثان: يركِّز على أنَّ كُلّ تكريم للأيقونات المقدَّسة «**إنما يعود إلى الأصل**» أي أنَّ إكرام الأيقونة يعود إلى من تُمثِّله في الأصل.

هذه الصياغة المُتميِّزة لروح التقليد الكنسي الطويل المدى صارت البداية الأساسِيَّة للتعليم بوضع (أو بتكريس) الأيقونات في الكنائس وفى المنازل. وبقدر ما كان **القديس باسيليوس الكبير**، كذلك كان الآباء الكبار للكنيسة المعاصرين له أمثال: **غريغوريوس اللاهوتي، وغريغوريوس النيسي، ويوحنا الذهبيّ الفم** وغيرهم، من أكثر المدافعين عن رسم الأيقونات في الكنائس، وبمناظر لقديسي الإيمان وشهدائه، ويحثون على احترامهم ومدحهم كما فعل هؤلاء الآباء ومدحوهم في عظات أعيادهم. إنَّ عظات الأعياد هذه توضح لنا الخاصيَّة السَّابقة للأيقونات (أي أنَّ كل إكرام للأيقونة يعود إلى من تُمَثِّله) وفى نفس الوقت تكشف لنا عن **عمق المعنى اللاهوتي لهذا الفن الأرثوذكسي.**

إنَّ فن رسم الأيقونات يُظهر ليس فقط الجانب المُعلن والجمالي للأيقونة، ولكن أيضًا الجانب السِّري وما هو وراء العالمي، في الحياة اليوميَّة للكنيسة (للمؤمنين). رسم الأيقونات هو فن **مُشبّع بروح تعاليم الكتاب المقدس، وبالتقليد المقدس، وبقرارات المجامع المسكونية السبعة**، وأساسًا بروح المحبة لدى المؤمنين لقداسة القدِّيسين وكذلك بتقوى الرَّسامين. تعليم الكنيسة الأرثوذكسيَّة عن استخدام وتكريم الأيقونات مؤسَّسٌ على الكتاب المقدس وعلى التقليد الرَّسولي، فمن الكتاب المقدس لدينا تلك الشواهد من العهدين القديم والجديد والتي ذُكرت في الحديث عن:

١ – خلقة الابن وكلمة الله الخالق، للإنسان «على صورته وشبهه» الإله الحقيقي الواحد في الثالوث (انظر تك١:٢٦–٢٧ و٥:١). حيث في هذه الشَّواهد صار حديث عن خلق الإنسان رَجُلًا وامرأة على صورة الله وشبهه. هذه الصياغة البسيطة تُظهر لنا مدى البهاء العظيم

والكمال غير الموصوف للإله الواحد الموجود في كيان كل إنسان.

٢ – ظهور الإله الإنسان، الابن وكلمة الله المتجسد، في شخص **يسوع المسيح**، كطريقة فريدة وكاملة للتعبير عن صورة الله غير المرئي: «اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ.» (يو١:١٨) انظر أيضًا: « قَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ:«يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا». قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟» (يو١٤:٨-٩).

٣ – التجديد الشَّامل للكيان الإنساني الذي خُلق بحسب صورة الله، والذي تَشَوَّهَ **بالخطيّة الأصليَّة**. هذا التجديد يتمّ ويستمر بقوَّة العمل الفدائي **ليسوع المسيح داخل الكنيسة**: «إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا.» (٢كو٥:١٧).

إنَّ **آباء الكنيسة الأولى** فسَّروا باستمرار بطريقة أرثوذكسيَّة، وقدَّروا كل معلومة للكتاب المقدس وللتقليد مرتبطة بالأيقونات. بسبب هذا التقدير من جانب الآباء ساد استخدام الأيقونات المقدَّسة لشخص **يسوع المسيح**، **ولأمه مريم والدة الإله وللقديسين**، كأمر طبيعي لما تولد عند المؤمنين واجب التكريم للأيقونات، ووضعها في أماكن الصلاة والعبادة.

العوامل الأساسية لرسم (لتصوير) عظمة الله غير المُعبر عنها هي:

١ – إبداع الكون بطريقة فنية عظيمة جدًا.

٢ – خلق الإنسان على صورة الله ومثاله.

٣ – تجسد ابن الله الكلمة في شخص **يسوع المسيح** «الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ» (كو١:١٥). ولكن وفقًا للكتاب المقدس وتعليم آباء الكنيسة يبقى الإله الحقيقي الواحد في الثالوث، دائمًا غير مفهوم وغير مُدرك **من جهة جوهره** لهذا فهو لا يُوَصَّف ولا يُرَسَّم ولا يُصَوَّر **كجوهر**.

هذه الحقائق الثلاثة معًا تكشف لنا بطريقة مُطلقة، الحكمة الكبيرة، والقدرة الكليَّة، والصلاح الكامل **للإله الحقيقي**. وخاصة في شخص **يسوع المسيح** الذي يصوِّر أساسًا محبة الله نحو الإنسان والتي هي (أي المحبة) إشعاعات الجوهر الإلهي لأن «اللهُ مَحَبَّةٌ.» (١يو ٤:٨،١٦).

ولكن هذه الحقائق الثلاث تبقى لها صفة السِّرِّية، والتي تُشير إليها كلمات **الرسول بولس**: «فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ، لكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لِوَجْهٍ. الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ.» (١كو١٣:١٢).

إمكانية الكمال الرُّوحي لدى المؤمنين والتقديس بفعل نعمة الله كدافع لرسم الأيقونات، بينما جميع البشر يحملون صورة الله ، إلَّا أنَّهم يختلفون فيما بينهم بسبب فرادة شخصيَّة كُلّ واحد، ونقاء (صفاء) سريرتهم، والعلاقة الشخصيَّة للصورة مع الأصل الإلهي، وهذه العلاقة تتوقَّف على حُرِّية الإرادة لدى كُلِّ إنسان وكما يحدث في حالة المرايا التي فقدت نقاوتها الطبيعيَّة، إنَّها لا تستطيع أنْ تعكس بوضوح صورة الأشياء الموضوعة أمامها، هكذا في حالة الإنسان الضَّال البعيد عن الله، فإنَّهُ لا يستطيع أنْ يعود مرَّة أخرى إلى وضعه الطبيعي وعلاقته باللهِ، بدون مساعدة **يسوع المسيح**.

فالمسيح هو الذي يُجدِّد بالحياة السِّرِّيّة داخل الكنيسة، صورة الله التي تشوَّهت في هذا الإنسان. ولذا فالله الكُلّي الصلاح، بدأ بعد السُّقوط، أنْ يُطبِّق خطته الأزليَّة التي هي استرجاع صورة الله التي تشوّهت في كيان كُلِّ إنسان، وذلك بتجسد الأقنوم الثاني للثالوث القدوس، الابن (كلمة الله)، في شخص **الإنسان الإله يسوع المسيح** «لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ » (فيلبي٢:٧-١٠). وبولادته بطريقة خارقة للطبيعة «**من الرُّوح القُدُس**» «**ومن مريم العذراء**»، وهو الصورة الكاملة للهِ غير المرئي. «الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ.» (كول ١:١٥).

هدف **التَّجسد** إذًا، كان تجديد صورة الله التي اسوَدَّت وتلوَّثَت في الإنسان بفعل **الخطيّة**، والنقل السِّري لإشراقة صورته الإلهية الخاصة إلى الإنسان الذي خُلق على صورته ومثاله أي إلى كيان كُلِّ إنسان وذلك **بالإيمان به، وبالمعمودية على اسمه، وبممارسة سِرّ الشكر الإلهي، وبالحياة حسب المسيح**. ولكن بسبب قيمة الإنسان العظيمة جدًّا والتي لا تُقدَّر بثمن إذ هو صورة الله على الأرض، لم يكن **التجسد الإلهي** وحده كافيًا، إذ احتاج الأمر أيضًا إلى ذبيحتِهِ الكفَّاريَّة الكبرى أي إلى موته الفدائي على الصليب وذلك لأجل الاسترجاع الكامل والتَّام **لعلاقة الإنسان** مع الله.

فبحسب **الرسول بولس**، **يسوع المسيح** بتجسده، وبموته على الصليب وقيامته جدّد كيان الإنسان المخلوق على صورة الله. وذلك

حتى تصير قوّة معرفته الإلهيَّة مرّة أخرى نشطة وفعالة. وفي هذا الصدد يقول **الإنجيلي يوحنا**: «وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ.» (يو١٧: ٣).

نَخْلُص من كُلِّ هذا أنَّهُ لكي يتحقَّق الكمال الرُّوحي، والتقديس بحسب نعمة الله لقديسي كنيسة المسيح، يتطلب الأمر لاهوتيًّا وأرثوذكسيًّا **عمل الأيقونات واستخدامها في حياة الكنيسة**، وعلى الأخص في العبادة مع تكريمها. **فالأيقونات تقدم لنا قديسي كنيسة المسيح** كأناس متمثلين به حقيقةً، وقد نجحوا أثناء حياتهم على الأرض في التشبُّه الكامل بالله والتمثُّل الحقيقيِّ به. وَهُمْ بالتجديد المستمرِّ داخل الكنيسة أوصلوا كيانهم الذي على صورة الله إلى **المعرفة الإلهية الرُّوحانيَّة**.

وحيث إن « الشبيه بالشبيه يُعرف»، لذا تستخدم الكنيسة **الأيقونات المقدَّسة ليسوع المسيح، ولكليَّة القداسة مريم**، وجميع القديسين، كوسائل منظورة لتعليم التاريخ والرُّوحانيَّة، والخلاص. فالمؤمنون إذْ ينظرون لأيقونات القدِّيسين ويقدرون جهادهم الرُّوحي وانتصاراتهم يتعلَّمون من هذه النماذج الكثير. فالقدّيسون هم الطبعة النقيَّة لصورة الله.

والله الذي لا يمكن التقرُّب منه يصير من الممكن الوصول إليه بواسطة **الأيقونات** وذلك عن طريق القدّيسين المتمثِّلين به. **الكنيسة الأرثوذكسية باستخدام الأيقونات** تُظهر غنى رحمة الله ونعمته لأجل خلاص الإنسان وتقديس الكون إذ تساعد (**الأيقونات**) البشر على التمثُّل الرُّوحي بالله «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ.» (مت٥: ٤٨).

ثانيًا: عدم مقارنة الأوثان بالأيقونات المقدَّسة:

ليس هناك أي وجه للمقارنة بين **الأيقونات المقدَّسة والأوثان. فالأوثان هي الضلال بعينه**، وليس هذا فقط، فهي لا تُقلِّل من شأن الإله الحقيقي فقط، بل وأيضًا من شأن البشر العابدين لها. لهذا كلّه اعتبرت عبادة **الأوثان** من جانب المسيحيِّين كاختراع من **الشيطان** «وَأَيَّةُ مُوَافَقَةٍ لِهَيْكَلِ اللهِ مَعَ الأَوْثَانِ؟ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَيِّ، كَمَا قَالَ اللهُ ... » (٢كو٦: ١٦).

إذًا فالمقارنة بين **الأيقونات المقدَّسة والأوثان** التي يحاول **محاربو الأيقونات** في كُلّ العصور إقامتها، لا يمكن أن تكون صحيحة وذلك لسببين أساسيَّين:

١ – أنَّ الأيقونات المقدَّسة لقديسي الكنيسة هي صور لأشخاص وأحداث تاريخية حقيقيَّة. هؤلاء الأشخاص كانوا على علاقة قداسة وشركة مباشرة بالإله الحقيقي.

٢ – أنَّ أيقونات القدِّيسين يُقدَّم لها تكريم فقط وليس على أي حال من الأحوال عبادة. فالعبادة تُقدم فقط للإله الحقيقي المثلث الأقانيم.

تفسيرات محرّفة لآيات في العهد القديم من جانب محاربي الأيقونات:

من الملاحظِ أن **محاربي** الأيقونات يحرِّفون تفسير الشواهد المتعلقة **بالناموس الموسوي** ويسيئون عمومًا فَهْمَ **العهد القديم**، فهم يزعمون أنَّ الوصيَّة «...لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ...» (خر٢٠: ١-٦). قد حرَّمت استخدام الأيقونات، وبالتَّالي بالأكثر تكريمها. لكن **العهد القديم** في الحقيقة لم يُحرِّم استخدام **الأيقونات المقدَّسة**، لأنَّهُ في ذاك الوقت لم يكن دارجًا استعمال الأيقونات لأنَّ الله لم يُرَ.

فالعهد القديم حرَّم نهائيًا صناعة أي شبيه أو مثال للإله، لأنَّهُ إذْ هو وحده الإله الحقيقي، يبقى دائمًا غير مُدْرَكٍ وغير موصوف ولا يوجد له بالتالي شبيه أو مثال لا في السماء من فوق ولا في الأرض من تحت ولا في الماء، ولا من تحت الأرض، وذلك حتى يحمي شعب الله من عبادة **الأوثان**. بل وأكثر من هذا، لدينا في **العهد القديم** حقائق وأحداث مُصوّرة صارت هي ذاتها تشبيهات ونماذج لأحداث تمَّت في العهد الجديد. تشبيهات مثل هذه ونماذج هي:

١ – العليقة المشتعلة بالنَّار وغير المحترقة. (خر٣: ٢) كمثال مُسبق **لعذراوية والدة الإله**.

٢ – بقاء يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام كصورة مُسبقة لقيامة **يسوع المسيح** (انظر يو٢: ١، ومت١٢: ٤٠).

٣ – فُلك نوح كصورة مُسبقة **للكنيسة**.

٤ – الناموس الموسوي كصورة مُسبقة **للمسيح الملك** الذي له السلطان على كل شيء.

وبخلاف هذه التشبيهات والنماذج، لدينا أيضًا وصيَّة الله القاطعة لموسى، أن يصنع «**خيمة الشهادة**» وأنْ يضع في داخلِها للحفظِ، كُلَّ ما يدل على تدخلاته المُعجزيّة في اللحظات الصعبة جدًّا في تاريخ إسرائيل لأجل بقائه، أي أثناء خروجه من أرض مصر وبقائه الطويل في برية سيناء (انظر خر٢٥: ١-٣١). هذه الدلائل كانت: «فِيهِ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَتَابُوتُ الْعَهْدِ مُغَشًّى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ بِالذَّهَبِ، الَّذِي فِيهِ قِسْطٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ الْمَنُّ، وَعَصَا هَارُونَ الَّتِي أَفْرَخَتْ، وَلَوْحَا الْعَهْدِ.» (انظر عب٩: ٤-٥).

ثم أوصاه أيضًا أنْ يصنع شاروبَيْنِ من الذَّهب (شاروبيم المجد) وأن يضعهما فوق «**خيمة الشهادة**»، لكي يعبرا ويرمزا لحضور الله الدَّائم. «وَفَوْقَهُ كَرُوبَا الْمَجْدِ مُظَلِّلَيْنِ الْغِطَاءَ.» (انظر خر٢٥:١٨-٢٠، وعب٥:٩). هذان الشَّاروبان صُوِّرا في شكل ملائكة، كما ظهروا من قبل لبطاركة إسرائيل مُرسَلين إليهم من قِبَل الله (انظر مثلاً تك٣:٢٤ ١٦:٧-١١، ١٩:١٠، وعب١:١٤)، أي أنَّهُ صار من الممكن تصوير الملائكة، لأنَّ هؤلاء قد ظهروا أوَّلًا للناس.

هذان الشَّاروبان كانا موضع التكريم والعبادة أيضًا بحسب **الرسالة إلى العبرانيين** (٩:١) «ثُمَّ الْعَهْدُ الأَوَّلُ كَانَ لَهُ أَيْضًا فَرَائِضُ خِدْمَةٍ.» وذلك لأنَّها كانت ترمز وَتُعَبِّر عن الحضور الدَّائم للهِ في مركز حياة إسرائيل.

يضاف إلى كل هذا أنَّ الله فرض أيضًا على شعبه الخاصّ تقديم ذبائح ماديَّة، وعبادات إلهيَّة، وذلك لكي يتولَّد في ضمير الشَّعب الإحساس بواجب تقديم العبادة المستمرة له (انظر خر٢٠:٢٤-٢٦، تك٢٢:١-٨) ومع أنَّ هذه الذبائح كانت ماديَّة مثل تلك التي كان يقدمها الوثنيُّون، إلَّا أنَّها كانت ذات قيمة روحانيَّة، لأنَّ كل إجراءات تقديمها كانت عبارة عن ارتباط مستمر لفكر وحياة الشَّعب بإلهه.

من كُلِّ ما سبق يتضح لنا أن **تعليم الكنيسة عن الأيقونات** له تاريخ طويل.

هكذا وفقًا **لإيمان آباء الكنيسة الأرثوذكسيَّة**، فإن استخدام الأيقونات المقدَّسة وإكرامها لا ينقض أو يخالف أية وصيَّة كتابية للهِ، ولا يتعارض مع نظام العبادة في العهد القديم. بل بالعكس أنشأ ازدهارًا سليمًا مُحببًا لتعاليم العهد القديم.

بتكريم الأيقونات المقدَّسة نُكرِّم بكرامة إلهيَّة، شخصيات وأحداث وأمور قد أُعلنت مسبقًا في العهد القديم، وتحقَّقت في العهد الجديد **بتجسد الابن وكلمة الله**، وصُدِّقَ عليها فيما بعد من الكنيسة. هذه الشخصيات والأحداث تستحقّ الاحترام والتكريم من البشر، لأنَّها صارت وسائل للهِ وللكنيسة، لتقديس العالم ولخلاصه.

نعود ونقول إنَّ السبب الرئيسي لمنع الله لموسى، أن يصنع الشَّعب مثالًا أو نظيرًا لإلهه، يكمُن في عدم قدرة الإنسان على أن يصوِّر ويصف الله غير المرئي وغير الموصوف – **والقديس يوحنا الدمشقي** في هذا يعلِّق:

«أنَّهُ بسبب عبادة الأوثان حَرَّمَ الله التصوير (الرَّسم) لأنه ليس من الممكن أن يُصَوَّر الله » (انظر PG94, 1344-1348).

وعدم إمكانية تصوير الله يُعبِّر عن عظمة الألوهيَّة الفائقة أمام كُلِّ الكائنات، ولهذا تجب له فقط العبادة كخالق للخليقة ومُسيطر عليها كلّها.

الأيقونة المعروفة لدى الكنيسة وهي للأقانيم الثلاثة للإله الواحد، أي في صورة ثلاثة ملائكة، لا تمثِّل مخالفة للوصِيَّة المتعلِّقة بمنع التصوير، ولكن تمثل استمراريَّة دقيقة **للتعليم المسيحي الأرثوذكسي** عن سِرِّ التدبير الإلهي وعن قمة التنازل لمحبة الله. وهذا الثالوث المقدس نفسه، كما يلاحظ **القديس يوحنا الدمشقي** قد أُعلن لأبرآم وذلك «حتى لا يكون الله والخلائق غير المتجسّدة مجهولة لنا تمامًا» (Ibid). (Ibid هي اختصار للكلمة اللاتينيَّة «Ibidem» والتي تعني «في نفس المكان». يتم استخدامه في الاستشهادات، للاستشهاد بسرعة بمصدر سَبَقَ أن استشهدت به «المرجع السابق»).

هكذا يُعرض (يُرسم) الثالوث القدوس في **صورة ضيافة الثلاثة ملائكة من إبرآم في خيمته عند بلوطات ممرا** (تك ١٨:١-٨). كما يُعرض (يُرسم) لكل أقنوم للثالوث بصورة مناسبة له فالله **الآب «كالقديم الأيام»** وفقًا لرؤية **دانيال النبي** (دانيال ٧:٩-٢٢) ، والابن **كلمة الله** بشخص الإله الإنسان يسوع المسيح، **والرُّوح القُدُس** في شكل حمامة (أنظر مت٣:١٦، مر١:١٠، لو٣:٢٢، يو١:٣٢). بالطبع هذه المناظر ليست هي صور لكيان **(لجوهر)** الأقانيم الثلاثة نفسه، بل هي فقط صور لبعض الإعلانات التاريخِيَّة للثالوث. وفيما يخص هذا:

يقول القديس يوحنا الدمشقي:

« قديمًا لم يكن من المستطاع أن يُصَوَّر الله الذي لا يُرى والذي لا جسد، ولا حدّ، ولا شكل له؟... لذلك لم يكن دارجًا في العهد القديم استعمال الأيقونات، غير أنَّهُ لمَّا صار الله – **إنسانًا بالحقيقة** لأجل خلاصنا، وعاش على الأرض وخالط (وعاشر) الناس، فإنَّه يمكن تصوير (رسم) هذا الذي يُرى من الله» (PG 94,1293).

هذا التنازل الكبير لمحبة الله في شخص **يسوع المسيح**، «فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا.» (كو٢:٩، في٣:١٩)، يمتد حتى يشمل أيضًا بحسب **القديس يوحنا الدمشقي** الأيقونات المقدَّسة لشخص الإله الإنسان **يسوع المسيح**، **ولوالدة الإله**، ولجميع القدِّيسين. فهكذا يكتب: «غير أنَّهُ لما صار الله، بالحقيقة إنسانًا، فما أخذه من شكل ولون وثقل للجسد هذا تُصَوِّرُهُ في أيقونة.

وَلَسْنَا في ذلك مُخطئين لأنَّهُ يجب علينا أن نتشَوَّق إلى رؤية هذه الملامح. **والرسول بولس** يقول «فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ» (١كور١٣:١٢)، والأيقونة هي مرآة ولغز يتناسب مع خواص أجسادنا» (PG 94,1288, 1320). ويواصل **القديس يوحنا الدمشقي** حديثه ويقول: «لهذا فبجرأة، فإنَّ الله غير المرئي، يُرسَّم كمرئي إذ صار مرئيًا لنا بلحم ودم كإنسان، الألوهيَّة غير المرئيَّة لا تُصوَّر، ولكن يُصَوَّر الجسد المرئي لله» (PG 94,1236,1324).

إنَّ **رفض** رسم صورة للقدِّيسين وتكريم أيقوناتهم المقدَّسة يتساوى مع **رفض** السُّجود لشخص الإله الإنسان **يسوع المسيح** نفسه. طالما أنَّ القدِّيسين هم أناس مملوءُون «بالرُّوح القُدُس».

«أنْ تعمل الأيقونة للمسيح، هذا يكفي، أو لأمه والدة الإله فهذا ليس بعبث، ولكن أن تعمل أيقونة للمسيح ولا تعمل أيقونة القديس، فهذا يبيّن أنك ترفض لا أيقونة القديس ولكن ترفض تكريم القدِّيسين» (PG 94,1252).

إنَّ التجسد الإلهي **والأيقونات المقدَّسة** هي تعبيرات لِقِمَّةِ تنازل الله.

والقديس يوحنا الدمشقي يطلب من المؤمنين: «ارسموا إذًا تنازله الذي يعجز اللسان عن شرحه: ولادته من العذراء مريم، عماده في الأردن، تجلّيه على جبل تابور، آلامه، موته، معجزاته، صليب السّيد، صعوده إلى السَّموات، لا تخف، لا تتردَّد، أنت تعرف الفرق في السُّجود، حيث إنَّ السُّجود للعبادة شيء، والتكريم الذي يُعطى لأولئك الذين يتميّزون لمكانتهم واستحقاقهم هو شيء آخر تمامًا» (PG 94,1239-1240).

ثالثًا: عوامل ساعدت في دخول الأيقونات المقدسة إلى الكنائس:

وفقًا لكل ما ذكرناه سابقًا هناك عوامل ساعدت على دخول **الأيقونات المقدَّسة** إلى الكنائس وفي استخدامها في العبادة لله – هذه العوامل بإيجاز هي:

١ – حاجة الكنيسة إلى التقديم المستمر لشخص **يسوع المسيح**، **لوالدة الإله مريم**، ولكل قديسي وشهداء الإيمان، كنماذج للمؤمنين، وذلك لأجل بنيانهم وتعليمهم وتشجيعهم أمام صعوبات الحياة.

٢ – كون الكنيسة نفسها هي صورة لملكوت الله وهذا الأمر الذي يصير مُعاشًا عندما يجتمع المؤمنون للعبادة. ومن هنا جاءت وسادت كلمة «**كنيسة**» على كلمة هيكل، بجمع المسيح وكل قديسيه مع جميع المؤمنين به.

٣ – الحاجة إلى تذكير المؤمنين باستمرار بكل الأشخاص المقدَّسة وبالأحداث المُعجزية.

٤ – الرغبة عند المؤمنين في إقامة علاقة مع أبطال الإيمان.

٥ – ازدهار العبادة وكثرة الاحتفالات بأعياد القدِّيسين والتوسُّع في كتابة الألحان.

٦ – تكريم وتبجيل، الرُّفات المقدَّسة لشهداء الإيمان.

٧ – قرارات المجامع المسكونية السبعة، والتي بها صار التعليم الأرثوذكسي للكنيسة الخاص برسم أيقونة **الإله الإنسان يسوع المسيح**، **والدة الإله مريم**، أمر رسمي، وخاصة **المجمع السابع المسكوني**.

رابعًا: أسباب تدفع إلى تكريم الأيقونات المقدَّسة والسُّجود أمامها

السبب الأول:

الحاجة إلى تركيز فكر وروح المؤمنين في القدِّيسين الرَّافعين لصلواتهم وطلباتهم وأيضًا تسابيحهم وتشكراتهم. فالمؤمنون إذ يصلُّون أمام **الأيقونات المقدَّسة** ويتطلعون لصور القدِّيسين التي فيها وحتى كما يقول **الرسول بولس**: «كَمَا فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ» (١كور١٣: ١٢)، يرتاحون نفسِيًّا. إذ يشعرون بحضور القدِّيسين معهم وبتوسطاتهم وتشفعاتهم من أجلهم نحو الله، وفي ثقة يستودعون لديهم طلباتهم وتضرعاتهم.

السبب الثاني:

الأساس هو القيمة التعليمِيَّة الكبيرة **للأيقونات المقدَّسة** الناتجة من وضعها في الكنائس ومن استخدامها في العبادة، فمن الأيقونات يتعلَّم كُلّ مسيحي كم يكافئ الله والكنيسة أولئك الذين بقوا على الأرض مؤمنين ومُتمَسِّكين به، واظهروا انَّهم كانوا مستحقين لموت الصليب ولعمل الفداء الذي صنعه لأجلهم. هذه المكافأة يُعبّر عنها في **الأيقونات** برسم أكاليل مضيئة حول رؤوس القدِّيسين «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ. وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ... » (٢تيمو٤: ٧-٨).

السبب الثالث:

هو القداسة المتنوعة **للأيقونات** والتي ترجع لعوامل متعدِّدة من بينها المكانة الخاصة **للأيقونات** في الكنيسة وفى العبادة الإلهِيَّة، والتعليم اللاهوتي للكنيسة بأنَّ كُلّ تكريم **للأيقونات** إنَّما تُقَدَّم إلى من تُمثِّله، يعود إلى المعجزات التاريخِيَّة المختلفة التي تنسب إليها.

وفى الواقع يمكن أن يعضد الرأي أنَّ كُلّ **الأيقونات** هي صانعة معجزات، لأن المعجزات ليست هي فقط الشِّفاء من الأمراض الجسدِيَّة أو منع كارثة مثلًا من الحدوث، بل أنَّ تقوية الإيمان وإحياء الرَّجاء والرَّاحة النفسِيَّة للمؤمنين هي أيضًا مُعجزات.

المؤمن وهو يصلِّي أمام الأيقونة يشعر بأنَّهُ يوجد في حوار مع شخص حَيّ مع قديس الله المُصَوَّر (المكتوب) في الأيقونة. وبالتالي من الممكن أنْ تُشَبِّه الأيقونة أيضًا بالمترجم لهذا الحوار أمام الله أو بالوسيط والشفيع لذاك الذي يقف أمامها مُصلِّيًا.

كل هذه تُفسِّر سبب النهضة الرُّوحِيَّة المستمرة والتقوى العميقة لدى المصلِّين الذين يَصِلُون فيها إلى درجة فقد الإحساس بالمكان والزَّمان وإلى بدء تذوق انعكاسات أنوار الأبدِيَّة وعظمة الله عليهم، إنَّها لحظات تُشحَن نفوسهم فيها بالقوَّة المُقدسة ونعمة الله ويشعرون معها أنهم مَفْدِيِّون. وبسبب هذه القداسة **للأيقونات** يلجأ المؤمنون باستمرار إلى الكنائس وإلى المدن المشهورة لكي يُصَلُّوا ويطلبوا شفاعة القدِّيسين أمام أيقوناتهم المقدسة.

لكل هذه الأسباب اعتبر **المجمع المسكوني السابع** تكريم الأيقونات المقدسة أنَّهُ « أمرٌ شرعيّ يُرضي الله، وهو من تقليد الكنيسة، وطلب صالح واحتياج لكل ملء الكنيسة». (انظر «تعليم الكنيسة الأرثوذكسية عن الأيقونات» لـ Morko Suitou ,Athens 1990 P. H-82).

الفصل العشرون
تابع من العدد الساق

وصارَ من عادته في الآونة الأخيرة أن يتوَجَّه على الدوام إلى **والدة الإله** في المرارة كما في الشَّكِّ والذُلِّ. وكانت صلاته إليها كصلاة الطفل لِأُمِّهِ: صلاة وحوار في آنٍ واحد. فكانا يتكلَّمان معًا بهذه الطريقة كُلَّ ليلة تقريبًا، فَيُطَيِّبَ الأمل جراحاته.

كان قد تضرَّعَ إليها بضع سنوات من أجل تقدُّم طُلَّابه. والآن كانت هذه الصلاة قد تحقَّقت تقريبًا. ودُفعةٌ بعد دفعةٍ صارت نُخبةٌ من الطُّلاب تدخل المدرسة، وتَتخرَّج منها. وكان مُعظمهم يتحضَّرون فعليًّا للكهنوت. وكانوا يأتون إلى مكتبه ويقرعون بابه بِخَجَلٍ، وقد ظهر الإيمان المُقَدَّس على وجوههم، ليطلبوا الإرشاد على درب الجهاد. وقد تميَّزَ بعضهم بوفرة المواهب، واستحقُّوا كُلّ مديح وإعجاب. ولابُدّ أنَّ هؤلاء سوفَ يعرفون كيفَ يَشُقُّونَ طريقهم عبر أشواك العالم، ليُصبحوا **ملح الأرض**.

كيفَ يتسنَّى لهذا الشَّعب المُمْتَحن أَمَرَّ المحن أنْ يستمرّ ويسير وسط الذِّئاب الجاحدة، والمتكبِّرة، من دونِ ملح الأرض هذا، من دون هذه الجُبَّات المُبَارَكة من الرَّبِّ، وهؤلاء الكهنة الفاضلين والمتواضعين؟

لتتبارك إلى الأبد الملكة الكليَّة القداسة التي استمعت إلى صلاته وتناولتها بين يديها، لِتُقَدمها إلى العرش القدُّوس بجُرأَةٍ وإصرار. أمَّا هو فكانَ يُقَدِّم إلى **أُم الإله** صلاةً جديدة: كان يتوَسَّل من أجل **الرَّهبنة الأرثوذكسِيَّة**. إنَّ هذه الزهرة العطرة في كنيسة الشَّرق الأرثوذكسِيَّة بدأت تذوي وتَصفَرّ منذ عهد **فارمكيدس والباقاريين** الذين أتوا مع **الملك أوطون**. ولم يعد الناس يشهدون رحيل الرُّهبان إلى أقاصي الأرض ليكونوا أمثلة للصبر ومعلِّمين للعقيدةِ الحقيقيَّة، ويتخلُّوا عن أنفسهم لكي يحملوا صليبًا ثقيلًا.

صحيح أنَّ الأمثلة لم تَكُن مفقودة. لكن معظم الشعب كان يجهل كنوز الكنيسة بسبب بعض المثقَّفين والجاحدين والمزوِّرين. ولم يعد الناس في إيمانهم وصلواتهم يطلبون غير معاينة العجائب لكي يؤمنوا. وكان الشَّعب يعبد القدِّيسين الصانعي العجائب الذين يتشفَّعون من أجله لدى عرش الله، طالبين المعونة والشِّفاء. لقد عاد الشَّعب **١٩٠٠ سنة** إلى الوراء، إلى العصر الذي كانت فيه الجموع تنظر إلى الرَّبِّ سائرًا بينها بهيئة عبد، شافيًا الأمراض.

كانوا بالطبع يُجِلُّون **باسيليوس الكبير، ويوحنَّا الذهبيّ الفم**. إلَّا أنَّهم كانوا يجهلون عُمق تعاليمهما وعظمتها. فإنَّ الشِّفاء والخلاص من براثن الموت هما من الأمور المنظورة الملموسة والمباشرة، التي تستدعي إعجاب الشَّعب الذي كان قد اختبر بنفسِهِ هذه الحقيقة.

لقد بذل **نكتاريوس** في كتابة مؤلَّفاته جُهدًا كبيرًا وسَهرَ الليالي الطويلة، وعانى الحرمان ... ولكن كُتبه لم تَكُن تسترعي الانتباه ولا الدَّهشة، بقدر معجزة واحدة من المعجزات التي أُعطِيَ القُدرة على القيام بها بنعمة الرَّبِّ وإرادته: كَشِفَاء المرضى عند **مسحة الزَّيت المقدَّس**، وطرد **الشياطين**.

في جميع الأحوال كانت هذه المُعجزات تُدهشه أيضًا، كان يمتلىء عُجبًا أمام القوَّة والنعمة الإلهيَّة **التي تحملها الكنيسة منذ قرون**، وقُدرة الرُّوح القُدُس الفائقة الطبيعة. ولم يَكُن الشَّعب للأسف يميِّز الفضيلة والباب الضَيِّق إلَّا بهذه الطريقة. وهو لم يَكُن يُريدُ مُطلَقًا أنْ ينسب إلى نفسه بهذه السهولة المجد الذي يخصّ **المسيح** وحده، ربّ السَّماوات والأرض.

وقد عادَ من جديد ليتوَجَّه بصلواته إلى **والدة الإله** من أجل **الرَّهبنة الأرثوذكسِيَّة**. وكان يُفَكِّر **في الجبل المُقَدَّس، هذا الحصن الرُّوحي للكليَّةِ القداسة**. لقد كانت تحمي هذا المكان بنفسها منذ قرون، مع كنوزه ومُشكلاته ونُسَّاكه القليلين الأجلاء الذين يحتملون وحدهم مع العذابات الرَّهيبة ثقل الرَّحمة الإلهيَّة.

ها هو القرن العشرون الذَّائع الصيت! ها هو يتقدَّم وسط الدُّموع والأنين، فخورًا بقُدرات الإنسان. لم يَكُن يخطر ببالهِ أنَّهُ من دون التَّقوى والخضوع لقوانين السَّماء، ومن دون احترام القِيَم الرُّوحِيَّة والأبديَّة، سوفَ تتفتَّت الحضارة كالبلُّور، وتتساقط كحُبيبات الغُبار دون أنْ تترك وراءها غير أرضٍ جرداء حزينة.

وفي أحد الليالي طلب **نكتاريوس** من التلاميذ الذين يجيدون الترتيل أن يُصَلُّوا أمام أيقونة **والدة الإله**، وكان هو نفسه يصلِّي في قلبه هذه الصلاة السِّرِيَّة. وأمضوا سهرة حافلة بالسَّعادة والهدوء. وكان كُلّ شيء يبتسم حتى الأعشاب. فأشعلوا القناديل والشُّموع. وقد أعجبه ترتيل التلاميذ، وَفَتَنَهُ لدرجةٍ أنَّهُ وَدَّ لو يجثو أمامهم شاكرًا.

وأَحَسَّ بقلبه يتَّسع ويُصبح كبيرًا جدًّا. وامتلأت عيناه بالدموع، وراحَ يُراقب وجوههم بتأثُّر، فوجدها ممتلئة قداسة كوجوه الشَّاروبيم، وهم يشعرون بفرح الحياة، فابتهجت روحه لمرآهم، وقال لهم:

«صَلُّوا اليوم يا أولادي، ليُصَلِّ كُلّ واحدٍ منكم إلى والدة الإله من أجل أن تنمو وتُزهر من جديد شجرة الرَّهبنة الأرثوذكسيَّة ذات الثمار الرَّائعة. وإذا تمَّ لنا ذلك فإنَّ بلادنا ستقوم بأعمالٍ عظيمة».

ثمَّ باركهم الواحد بعد الآخر، وطلبَ منهم المرور على مكتبه في اليوم التالي لكي يُقَدِّم لهم مع الإهداء كتابه الجديد: **الخريستولوجيا**.

(التتمة في العدد القادم)

«الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً.» أضافَ: «حَتَّى كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ» (١كو١: ٣١).

تتمة من العدد السابق:

٥ – ومن أين لهم بهذه العقائد الإيمانيَّة السَّامية؟ لأنَّه قال لهم: بعدما تسمعون الأمور السَّامية: «إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا» (يو١٦: ١٢). بل إنَّ ما تبقَّى كان أسْمَى. حتى إنَّ واحدًا من تلاميذه لم يُرِد أن يمضي معه ولا حتَّى إلى اليهوديَّةِ عندما سَمِع عن المخاطر، لكنَّه قال: «لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضًا لِكَيْ نَمُوتَ مَعَهُ!». (يو ١١: ١٦). لأنَّه كان قد توقَّعَ أنَّهُ سيموت. وبينما كان معه، قد توقَّع موته، ولأجل هذا خاف، فبدون المُعَلِّم وبقيّة التلاميذ، كُلّ شيء متوقّع حدوثه، فما الذي لم يتوقَّعه بشأن ما سيعانيه وقتذاك حيث السَّفاهة والوقاحة كانت قد عمَّت كُلّ شيء ؟

وماذا كانوا سيقولون عندما بدأوا كرازتهم؟ فمن ناحية الآلام التي اجتازها المسيح، هذه قد ظهرت بجلاء لكُلِّ المسكونة، لأنَّه عُلِّقَ على صليب مُرتفع في منتصف النهار وفي مدينة هي العاصمة، وفي فترة احتفال بعيدٍ عظيمٍ جدًّا، ولم يَكُن مُمكنًا فيها أن يموت أحد دون أن يَدري به الناس، لكن القيامة لم يعلم بها أحد من الآخرين، الأمر الذي كان يمثِّل صعوبة كبيرة بالنسبةِ لهم عند إقناع الغير؛ ومن حيثُ أنَّه دُفن فالجميع قد أذاعوا الخبر، ومن جهة أنَّ التلاميذ قد سرقوا الجسد، فهذا ما قاله الجنود واليهود معًا، ومن حيثُ أنّه قام، فلا أحد من الآخرين قد عَلِمَ بِهِ.

إذًا كيف انتظروا أن يُقنِعوا المسكونة كلّها، إن كان الجنود قد اقتنعوا أن يَشهدوا بعكس الحقيقة، وعلى الرغم من المعجزات التي حدثت، كيف ترجّوا أنْ يكرزوا بدون مُعجزات، وأنْ يُقنعوا مَنْ في البَرِّ والبَحرِ بالقيامة، وبدون أن يكون لديهم ولا حتَّى فلسًا واحدًا؟ فإن كانوا فعلوا هذا رغبةً في المجد، فبالأكثر جدًّا كان كُلّ واحد سينسب إلى نفسه العقائد الإيمانيَّة، على أنْ ينسبها لشخص قد مات (يسوع). ولكن هل كان الناس آنذاك سيقتنعون بهؤلاء؟ وإن كانوا قد سمعوا، فَبِمَنْ كانوا سيؤمنون أكثر؟ هل بالمقبوضِ عليه الذي تمَّ صَلبه، أم بأولئك الذين أُفلِتُوا مِنَ القَبض عليهم من قِبَلِ اليهود؟

ومادام كان لديهم مثل هذه الخطَّة وهذا العمل، أخبرني: لماذا لم يتركوا اليهوديَّة على الفور، لكي يمضوا إلى مُدنٍ أُخرى، بل تحوَّلوا إلى الداخل؟ وكيف اقتنعوا إنْ لَمْ يكونوا قد صنعوا آيات وعجائب؟ إنْ كانوا قد صنعوا آيات – وحقًّا صنعوا – فذلك يرجع إلى قوَّة الله، وأيضًا إنْ لم يكونوا قد صنعوا، وسادوا على كُلِّ المسكونة، فإنَّ الأمر سيُصبِح بالأكثر جدًّا مستحقًّا للإعجاب. أخبرني: أَلَمْ يَكُن لديهم معرفة باليهود وما يضمرونه من خطط شرِّيرة، فهؤلاء يحملون نفوسًا مملُؤة بالحَسد؟ يعرفون اليهود، فهؤلاء اليهود بعدما عبروا البحر، بقيادة موسى النبيّ، وبعدما انتصروا هذا الانتصار العجيب على المصريين الذين استعبدوهم، وبعدَ المَنِّ المُرسَل من السَّماء، وضرب الصخرة التي انساب منها نهرُ ماء، وبعد المعجزات الكثيرة في مِصرَ وفي البحر الأحمر وفي البريَّةِ، حاولوا التخلُّص من موسى. أيضًا ألقوا أرمياء النبيّ في الجُبِّ، وقتلوا كثيرين من الأنبياء.

إسمع ماذا يقول إيليا النبي بعد ذلك القحط المُخيف، والمطر المُعجزي، والنار التي نزلت من السَّماء، فقد رحلَ أيضًا قدر استطاعته بعيدًا عن مُدن هؤلاء، وقال: «نَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي» (١ملوك ١٩: ١٠). ولكنهم لم يهدموا شيئًا من الأمور القانونيَّة أو الشرعيَّة.

أخبرني إذًا كيف كان من الممكن لهؤلاءِ اليهود أن يُعطوا اهتمامًا للتلاميذ الذين كانوا أكثر زُهدًا ووضاعة من سائر الأنبياء؟ والأكثر من ذلك، أنَّهم كرَزوا بأمور جديدة، كانت السَّبب في صَلب اليهود للمعلِّم. أيضًا كان يبدو لهم، أنَّهُ ليس بالأمر المخيف إلى هذا الحدِّ أن يقول لهم المسيح هذا التعليم الجديد، بقدر ما يقوله التلاميذ. فقد اعتقد اليهود أنَّ المسيح يصنع هذا، لكي يكتسب مجدًا لنفسهِ، لكنهم

قاوموا التلاميذ بشدَّةٍ لأنَّهم شعروا بأنَّهم يكرزون بكلِّ قوَّة من أجل التأكيد على صحة رسالة معلِّمهم. لكن هل قوانين الرُّومان قد ساعدت التلاميذ؟ الحقيقة المؤكَّدة هي أنَّ العائق كان صنيعة هؤلاء اليهود، لأنَّهم قالوا: «كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا يُقَاوِمُ قَيْصَرَ!» (يو١٩: ١٢). هذا القول فقط، كان كافيًا لكي يُعطِّلهم، فالتلاميذ كانوا يعتبرونه ملكًا (أي المسيح)، وأرادوا أن يؤكِّدوا ويؤيِّدوا قوَّة المسيح.

وما الذي دفعهم أن يسقطوا في هذه الأخطار بكامل إرادتهم؟ ماذا قالوا عنه، وما الذي جعلهم يعتقدون أنَّهُ لابُدَّ أنْ يبقوا مُخلِصين وأمناء له؟ تُرى لأنَّه صُلِبَ؟ أمْ لأنّه وُلِدَ من امرأة يهوديَّة فقيرة، ومخطوبة لنجَّار يهودي بسيط؟ أمْ لأنَّهُ ينتسب لِأُمَّةٍ مكروهةٍ في كُلِّ المسكونة؟ إنَّ هذا كان كافيًا وحده، ليسَ فقط أن يجعل مسألة إقناع السَّامعين وجذبهم مهمَّة مستحيلة، بل أيضًا لإثارة عداوة كبيرة ضدّ الجميع، خاصَّةً وأنَّ الكرازة كانت قد تمَّت بواسطة شخص صانع خيام وآخر صَيَّاد. أَلَمْ يكُن في استطاعة التلاميذ أن يفكِّروا أو يضعوا كُلّ هذا في اعتبارهم؟ لأنَّ البَشَر الجبناء بالطبيعة، هُم في وضع يسمح لهم بالتخيُّل أكثر من الواقعيين، ومثل هؤلاء كان التلاميذ. إذًا كيف كان لهم هذا الرَّجاء في تحقيق وتتميم عمل الكرازة؟ ربما ما كان لهم أن يترجَّوا مثل هذا الرجاء – لأنَّ الأشياء التي كانت تعيقهم كانت كثيرة جدًّا – إنْ لم يَكُن المسيح قد قامَ بالفعل.

٦ – أَلَمْ يَكُن من الواضح لأولئك الأغبياء، أنَّهُ إنْ لَمْ يَكُن لدى **التلاميذ والرُسل نعمة غنيَّة وعظيمة**، وإنْ لم يكونوا قد نالوا تأكيدًا **بالقيامة**، ما كانوا ليستطيعوا ليس فقط أن يبدأوا في العمل والكرازة، بل ولا حتَّى أن يُفكِّروا في هذه الأمور؟ فبينما كانت كُلّ هذه العوائق قائمة بالفعل، فإنَّ مجرَّد التفكير في الكرازة بهذه الأمور – ولا أقول تحقيقها – كان يُعَدُّ أمرًا مُستحيلًا، لكنهم فكَّروا فيها وحقَّقوها، وصنعوا أكثر بكثير ممَّا تأمَّلُوا. أعتقد أنَّهُ بات من الواضح لكُلِّ أحد، أنَّهم فعلوا كُلّ شيء، لا بقواهم الإنسانيَّة، بل بالنعمة الإلهيَّة.

إذًا فلنعمل حسابًا لهذه الكلمات، ليس فقط حين نكون بمفردنا، بل وفيما بيننا أيضًا، هكذا سيكون مِنَ الممكن أن نعثر على ما تبقَّى بصورة أكثر سهولة. ولا تعتقد أنَّ دراسة هذه الموضوعات، تُعَدُّ شيئًا غريبًا عنك، لأنَّك تُمارس مهنة يدويَّة، لأنَّ بولس أيضًا كان صانع خيام، لكنه امتلأ بنعمةٍ عظيمة آنذاك، وعندئذ بدأ عمله التبشيري كلّه، بل إنَّهُ قبل نوال النعمة، كان قد تعلَّم عند أقدام **غمالائيل**، وقد نالَ النعمة تحديدًا لأنَّهُ أظهَرَ فكرًا مُستحقًّا لهذه النعمة، وبعد كُلّ هذا، مارَسَ عمله.

إذًا ينبغي ألَّا يخجل أحدٌ ممن يُمارسون مهنة يدويَّة، بل ليخجل أولئك الذين يأكلون بدون وجه حقّ، وَيَظَلُّون عاطلين، ليخجل كُلّ مَنْ يستخدم خَدَمًا كثيرين، ويتمتَّع برعايةٍ فائقةٍ. لأنَّ مَنْ يعمل دومًا، يقتات من عمله، وهذا نوع من الحكمة، ونفوس هؤلاء الناس هي أنقَى، وفكرهم أقوَى. لأنَّ ذلك الذي لا يعمل، ويفعل الكثير دون تفكير، ويجلس عاطلًا طوال اليوم ولا يعمل مُطلقًا، هذا يحيا في غفوةٍ كبيرة، أمَّا الذي يعمل لن يفعل شيئًا بطيشٍ، ولن يتكلَّم ولن يُفكِّر بعدم تبصُّر، لأنَّ النفس مُكرَّسة بالكامل لتسلك في الحياة الشَّاقة.

إذًا ينبغي ألَّا نحتقر أولئك الذين يقتاتون من عمل أيديهم، بل العكس يجب أن نُطوِّبهم لأجل عملهم هذا. أخبرني ما هو الأفضل الذي لكَ عندما تَرِثُ ثروةً عن أبيك، وتعيش دون أن تصنع أي شيء في حياتك، بل وتُنفق كُلّ هذه الثروة بطريقةٍ غير معقولة وغير مقبولة؟ ألَا تعلم أنَّنا لن نُقدِّم جميعنا نفس الحساب عن أعمالنا، بل إنَّ كُلّ من تمتَّع براحة ورفاهيَة هنا على الأرض، سَيُدان بشدَّة على أعماله التي عملها، وأنَّ كُلّ مَن جارَ التعب والمشقَّة، سواء بسبب الألم أو الجوع، أو أي شيء شبيه بذلك، سَيُحاسَب برأفة؟ وهذه الأمور باتت واضحة من خلال مثل لعازر والغنيّ. أي لأنَّك لا تستغلّ وقت فراغك وراحتك في عمل أي شيء حسن وصالح، فإنَّكَ سَتُدان بعدل، أمَّا الفقير فلأنَّهُ يقضي وقته المتبقي في الأمور اللائقة، لذلك سيتمتَّع بالأكاليل العظيمة.

لكن في كُلِّ الأحوال ستواجهني قائلًا: بأنَّ هذا الأمر يتطلَّب وقتًا وجُهدًا، كمبرِّر لدحض كلامي، وستُدين هذا النوع من الاهتمام، لكن هذا المبرِّر لا يستقيم وهو غير منطقي. إنَّ كُرنيليوس كان قائد مئة، إلَّا أنَّ حياته العسكريَّة لم تُؤثِّر قَطّ على حياته المستقيمة. لكن أنتَ عندما تُنفق وقتك مع الراقصين والمُهَرِّجين، وتقضي حياتك كلّها في المسارح، فلا ينبغي أن تطرح مُطلقًا موضوع الحاجة إلى وقت وجُهد، كمُبَرِّر لرفض العمل الصالح، ولا أيضًا موضوع الخوف من معاملة الأراخنة (الأراخنة = الحُكام وهي كلمة يونانيّة αρχηγός أرخيغوس)، عندما نُدعَى إلى الكنيسة، لأنَّ وقتها ستُوضع عوائق لا حَصرَ لها، كمُبَرِّر لرفض الدعوة. ماذا ستقول في ذلك اليوم (يوم الدينونة)، عندما ترى ألسنة اللهب، وبحيرات النار، والقيود التي لا تُحَلّ، وتسمع صرير الأسنان؟ مَنْ سَيُعينك في ذلك اليوم، عندما ترى العامل الذي كان يشتغل بيديه، الذي كان يعيش بكرامة وهو يتمتَّع بالمجد السَّماوي، لكن أنتَ يا مَنْ كنتَ ترتدي ملابس ناعمة، وَتَشْتَمّ أطيابًا باهظة الثَّمن، تُعانِي آلامًا لا تُشفى؟ هل سينفعك الغِنى والثروة؟ وهل فقر العامل الذي يعمل بيديه، سيؤدّي إلى هلاكه؟

فحتَّى لا تُعانِي من هذه الأمور، لنستثمر كُلّ جهدنا في الاهتمام بالأمور الضروريَّة، لأنَّهُ هكذا بعدما نستعطف الله من أجل أن يصفح عن خطايانا السَّالفة، وبعدما نُجاهد من أجل خيرات الدهر الآتي، فإنَّنا سننال ملكوت السَّماوات، بالنعمة ومحبة البشر اللتين لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والرُّوح القُدُس، المجد والقوَّة والكرامة إلى الأبد، آمين.

(يتبع في العدد القادم)

ضد الحقد*

لأبينا في القديسين نيقوديموس الآثوسي المتوشح بالله

لذلك نطلب أنْ تصحوا يا أيُّها الآباء الجزيلوا الاحترام ويا إخوتنا المحبوبين بالمسيح، تعالوا وأدركوا شِدَّة الأذَى المُسَبَّب لكم من العدُوّ الشرّير. تخلّصوا من الضغينة. استأصلوا من أفئدتكم الحقد على الإخوة واغرسوا المحبّة فيها «الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ.» كما يقول **بولس المغبوط** (كولوسي ٣:١٤) .ما معنى رباط الكمال؟ يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** مفسّرًا إياها: « ما يريد الرسول قوله هو أنَّ سائر هذه الأمور، أي الفضائل، هي موثوقة (مربوطة) بجملتها بالمحبّة. مهما قد تذكر من مآثر حسنة بغياب المحبة هو لا شيء، بل يذوب كُليًّا. فإنَّهُ إذاما أنجز امرؤٌ إنجازات عظيمة، مهما كانت، فهي بأجمعها باطلة إذا ما لم تكن لها المحبّة.».

أيُّها الآباء اهجروا (تخلّوا) الافتراءات على إخوتكم واستبدلوها بالمديح (بالتمجيد) وليتذكّر كُلّ واحد ما يقوله **الرسول**: «أَخِيرًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ كُلُّ مَا هُوَ حَقٌّ، كُلُّ مَا هُوَ جَلِيلٌ، كُلُّ مَا هُوَ عَادِلٌ، كُلُّ مَا هُوَ طَاهِرٌ، كُلُّ مَا هُوَ مُسِرٌّ، كُلُّ مَا صِيتُهُ حَسَنٌ، إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةٌ وَإِنْ كَانَ مَدْحٌ، فَفِي هذِهِ افْتَكِرُوا.» (فيليبي ٤:٨).

نختم اعترافنا ودفاعنا بهذه العبارة المختصرة بل هي جريئة وحقّة. أيُّهَا الإخوة والآباء اذا لم تستأصلوا الضَّغينة من أفئدتكم ولم تغرسوا مُنمّين المحبة وإذا ما كنتم لا تكفّون عن الافتراءات ضد إخوتكم، فاعلموا – واغفروا جرأتنا هذه – أن مكوثكم في الجبال والتلال هو دون جدوى (يقصد هنا الرّهبان). فكل جهاداتكم النُسكيّة وأتعابكم وكدحكم هي بدون جدوى. هل نتفوّه بما هو أعظم؟ وحتى لو كابدتم استشهادًا جسديًّا من أجل المسيح، لكن البغضاء في صميمكم ولا تحبّون إخوتكم، فباطل هو استشهادكم. وهذا ليس بكلامنا بل **للقديس يوحنا الذهبي الذهن والفم** الذي يقول: «ليس من شيء أعظم أو مضاهٍ للمحبة ولا حتى الإستشهاد الذي هو أوّل سائر المآثر الصالحة. كيف يكون هذا؟ أنصت. محبة دون استشهاد تؤدّي بالإنسان أن يغدو تلميذًا للمسيح، لكن باستشهاد دون محبة فلا يسعه إحراز (بلوغ) هذا.»

إذًا أيها الإخوة والآباء، متخلّين عن الضَّغينة والحسد كما والافتراءات الشِّريرة ضدّ الإخوة، دعونا نتّخذ المحبة التي هي إيماءة وعلامة مميّزة لتلاميذ المسيح ولنحتضن السَّلام الواحد تجاه الآخر مع الاتحاد والانسجام، بالطريقة هذه دعونا نقدّم صلواتنا بسلام إلى الله أمير السَّلام، الذي وهبنا السَّلام بواسطة دم صليبه، والذي يمنح السَّلام للقاصين والدَّانين حسب الرسول ممجدين بصوت متفق وقلب واحد اسم الآب والابن والروح القدس الكلّي القداسة، الإله الواحد المثلث الأقانيم الذي ينبغي له كل المجد إلى مدى الدهور، آمين.

* **من كتاب «اعتراف الإيمان» لأبينا في القديسين نيقوديموس الآثوسي المتوشح بالله، نقلها إلى العربية رهبان دير حماطورة، قيد الطبع.**

الصليب – القديس أثناسيوس الكبير

حول حمل الصليب:

كثيرون يظنون أنَّ الصَّلب مع المسيح أو إماتة الذّات تعني مُجرَّد الامتناع عن الشَّر وبتر الشَّهوات من القلب. هذا هو الجانب السَّلبي الذي يعرفه الكثيرون ويظنون للأسف أنَّ هذا هو كُلّ الإيمان، مما يدفع بهم إلى السُّقوط في اليأس والقنوط والشعور بالكبت والحرمان وتحطيم قواهم، وفي النهاية كثيرًا ما يردّدون علانِيَةً أو خِفْيَةً أنَّهم يتمنون لو أمكنهم أن يتخلصوا من هذا التديُّن ويتحرَّروا من العبادة. هذا طبيعي لأنَّهم لم يتعرَّفوا على الجانب الإيجابي المُفرح بل **اكتفوا بالسلبيات**.

أمّا **الوجه الإيجابي** فهو توجيه إمكانيات الإنسان واشتياقه ورغباته لتعمل حسب الرُّوح، بذهن مستنير بمعرفة الله المحب، أو هو انطلاقة قِوَى الإنسان لتحيا في السماويات وهو بعد على الأرض. إنَّهُ عشق الرَّبّ المصلوب والخضوع له بعمل نعمته لنحيا به متقدمين من مجد إلى مجد، سالكين حسب الإنسان الجديد المُعطَى لنا في المعمودية بكونِنَا خلقَةً جديدة في المسيح يسوع:

فالصلب مع يسوع المسيح ليس تحطيمًا للقوى بل انبعاثًا لها في شهوة الحياة مع الرَّبّ والتمتع بالأبدِيَّة، وبالتالي تكون لنا أفكار جديدة ونظرات جديدة.

حول قوة رسم علامة الصليب:

أعطانا السَّيد المسيح الصليب سلاحًا نافذًا ينفذ في النار والهواء والماء والأرض ولا يحجبه شيء؛ قوته لا تقاوَم، تهرب الشَّياطين من صورته متى رُسِمَ به عليها! والصليب لواء المسيح ، والملائكة يحبون لواء ملكهم ويجرون إلى حيث يرون رسمه ليعينوا من يَرْسمه.

علامة الصليب تُبطل السِّحر وتُفسد كُلّ عرافة وتضبط كُلّ لَذَّة فاسدة... وبه ترتفع أنظار الإنسان من الأرض إلى السَّماء!

يُبطل **خداع الشياطين** بافتقاد نعمة الكلمة الإلهيَّة، إذ عندما يستخدم الإنسان علامة الصليب يُفْسد أضاليلهم.

مختارات آبائية حول الكتاب المقدّس

القدّيس باسيليوس الكبير:

القول بأنَّ ثمَّة عبارةً باطلةً في الكتاب المقدَّس هو تجديفٌ رهيب.

القديس أثناسيوس الكبير:

الأسفار المُلهَمة كانت كافيةً لبسْط الحقيقة.

من أراد أن يفهم فكرَ كُتَّاب الوحي [الإلهيّ] عليه أوّلاً أن يَرحض نفسَه ويطهّرها بقداسة السِّيرة، وأن يقتدي مِنْ ثُمَّ بالقدّيسين أنفسهم؛ وذلك في سلوك مماثلٍ لسلوكهم.

القديس مرقس الناسك:

إنَّ مَنْ لا يعتبرون أنفسَهم مَدينين بالنسبة إلى كُلِّ وصيّةٍ من وصايا المسيح إنّما يقرؤون شريعة الله بطريقةٍ جسديّةٍ دونما فهمٍ، لا لما يقولون ولا لما يؤكّدون بشدّة. (أنظر ١تيم١: ٧).

القدّيس رومانوس:

لنفتّشْ في الكتاب المقدّس عمّا يهب من النعمة وعمّا يتضمّن من المعنى، إذ إنَّهُ الدَّليل الذي يُفضي بالجميع إلى الرَّجاء الذي لا يَبلى: هذه هي فائدة كلّ الكتاب الموحى به من الله. **فَلْنَخُرَّنَّ** إذاً عند قدمَي المسيح مخلّصنا ولنصرخْ إليه بورعٍ قائلين: «يا ملك الملوك ومحبّ البشر، امنح المعرفة للجميع، وأرشدنا في سبيل وصاياك لنعرف طريق الملكوت، إذْ هي التي نصبو إلى سلوكها ليكون لنا أيضا الإكليلُ غيرُ الفاسد.»

القديس يوحنا كاسيانوس:

يجب أن تكون لدينا الحميَّةُ في حِفظ مجموعة الأسفار المقدّسة، وأن نستعيدها في ذاكرتنا بلا انقطاع. إذْ فيما يكون الانتباه منشغِلاً بالقراءة والدرس، لا يعود للأفكار السيّئة سبيلٌ من بعدُ إلى أسْر النفْس في شباكها. ولكن، إن كنتم تبتغون التوصّل إلى معرفةٍ حقيقيّةٍ للكتب [المقدّسة]، فعجّلوا أوّلاً إلى اكتساب تواضع قلبٍ راسخ. فهو الذي يقودكم، لا إلى العِلم الذي يَنفخ (أنظر ١كو٨: ١)، بل إلى العِلم الذي يُنير بإتمام المحبّة؛ إذْ يستحيل على النفس غير المطهَّرة أن تفوز بهبة العِلم الرُّوحي... واحترزوا بأبلغ الاهتمام شأنًا من أن تصير حمّيتُكم للمطالعة سببَ هلاك بادّعاءات باطلة.

القديس إيلاريون:

إنَّ حياةَ الإنسان وفِكْرَه يظلّان في الضَّلال، أو بالحريّ في ليل عدم الإحساس، ما داما ملطَّخيَن بمُعاشرتهما للجسد، ويبقيان من ثمّ في لجّة الجهل بسبب ثِقَل الطبيعة التي يمتزجان بها...ولكن، كلّما استنار المرء بكلام الله، صار غيرَ قادرٍ على تحمّل ظلمات الجسد هذه، وليل هذا العالم. وعليه، فلا نَدَعَنَّ هذا التعليم وهذا الكلام الإلهيّ اللذين تلقّيناهما فينا بلا استعمالٍ وبلا جدوى كما لو تحت «الْمِكْيَالِ» (انظر متى٥: ١٥)، بل لننشُرْ هذا النُّور في نفوسنا أوّلًا، ثم في جميع الأمم من خلالنا... وفي كل خطوةٍ تقوم بها نفوسنا، لنستعملْ كلام الله كسراج، ولكن كسراجٍ «موقَدٍ» دومًا، وَمُتَأَهِّبٌ دومًا بفطنتنا للقيام بمهمّته.

القديس سارافيم ساروفسكي:

تتغذى النفس بكلمة الله وعلى الأخص بمطالعة العهد الجديد والمزامير. يجب أن نقرأ الإنجيل ورسائل الرسل واقفين أمام الأيقونات المقدّسة، بينما يمكننا أن نقرأ المزامير جالسين. إنَّ الذِّهن يبتهج ويستنير من دراسة الكتاب المقدس.

يجب أن نمرّن الذِّهن على الهذيذ بناموس الرَّبِّ حتى نُرتِّب حياتنا بإرشاده. مفيدٌ جدًّا أن ندرس كلمة الله بانتباه وفي هدوء. بانشغالٍ كهذا مرتبطٍ بالأعمال الصالحة لن يحرمنا الله رحمته. عندما تلهج النفس بناموس الرَّبِّ تمتلئ مِنْ موهبة تمييز الخير من الشَّر.

عندما تتمُّ دراسة كلمة الله في الهدوء يغرق الذِّهن في حقائق الكتاب المقدّس، ويتقبَّلُ القلب دِفْئًا إلهيًّا. الشَّيء الذي إذا تَمَّ في الوحدة يجلب الدموع. هذه الأشياء تدفئ الإنسان كله وتملؤه بمواهب روحيَّة تُبهج الذهن والقلب بما لا يُعَبَّرُ عنه. وبشكلٍ خاص أنْ يُشَدَّدَ على الدراسة لكي يمتلك سلام النفس بحسب قول المزامير: «سَلاَمٌ عَظِيمٌ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ نَامُوسِكَ» (مزامير ١١٨: ١٦٥).

القديس اسحق السوري:

«قبل أنْ يتقبَّل المؤمن المعزي (الرّوح القُدُس) يحتاج للنصوص المقدّسة حتى يَتجَدَّد داخله لكثرة الدرس، وينجذب للعمل الصالح وتُحفظ نفسُهُ من طرق الخطيئة. إنَّهُ يحتاج للنُّصوص المقدسة لأنَّهُ لم يحصل بعد على قوَّة الرُّوح القُدُس، وعندما تنزل قوَّة الرُّوح القُدُس في النَّفسِ تتربى النفس سِرِّيًّا مِنَ الرُّوح، ولا تحتاج لمساعدة من أي شيء محسوس».

الأب أشعياء (من بستان الرهبان):

إنَّ حُبَّ الاستطلاع في الكتاب المقدّس يولّد العداوة والمخاصمات، أمَّا البكاء على الخطايا فيجلب السَّلام.

خطيئة على الرَّاهب أنْ يجلس في قِلَّايته ويهمل خطاياه باحثًا في الكتاب المقدس بروح فضوليّ.

إنَّ مَنْ يترك قلبه يبحث في أمور الكتاب المقدّس ويرجّح بين كذا وكذا قبل أن يقتني المسيح في ذاته، لا شَكَّ أنَّ قلبه فضوليّ ومسلوب إلى أقصى الحدود.

إنَّ من يسهر على ذاته بُغية النجاة من السَّلب يفضلّ رمي نفسه أمام الله بصورة دائمة.

لا تبحث في الأمور الإلهية السَّامية طالما أنَّك تصلي وتطلب من الله العون لكي يفتقدك ويخلّصك من خطيئتك. إنَّ الأمور المنوطة بالله إنَّما تتحقَّق وحدها متى أصبح المكان (**أي القلب**) نظيفًا وطاهرًا.

من آتكل على معرفته الخاصة وتشبَّث بإرادته يقتني لنفسه العداوة ولا يعود في إمكانه أن يتملَّص من الرُّوح الذي يولّد الحزن لقلبه.

إنَّ مَنْ ينظر إلى أقوال الكتاب المقدس ويطبقها حسب معرفته، معتبرًا نفسه بهذه الطريقة، قد أدرك عمقها، لا شك أنه يجهل مجد الله وغناه. أمّا مَن ينظر إليها ويقول: أنا إنسان لا أعرف، فانه يُقدّم مجدًا لله، وَغِنَى الله يفيض عليه حسب فكره وقدرته.

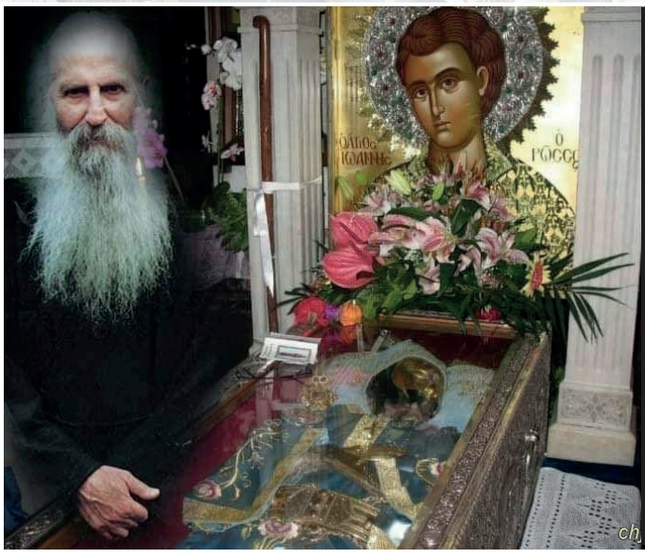

ماذا قال:
القديس يوحنا الرُّوسي
روحيًّا
للشيخ
القديس يعقوب

يعتقدون أني ميِّتٌ، والمسيحيُّون لا يعرفون. لكني على قيد الحياة. أرى الجميع، خرجت من ضريحي عدَّة مرات. أركض بين الناس لمساعدتهم. هناك الكثير من الألم.

إنَّهم لا يرونني. أراهم وأسمع ما يقولون. أدخل ضريحي مرة أخرى.

ولكن اسمع: أبي يقول لك: هناك الكثير من الخطايا في العالم، والكثير من عدم الاحترام والكفر ...

« لماذا تقول هذا **يا قديس يوحنا**؟ أجبته.» «ألا ترى كم من الناس يأتون إلى نعمتك ويطلبون شفاعتِكَ»؟

وأضاف **القديس يوحنا**: «سيأتي الكثيرون يا «**أبونا يعقوب**»، لكن القليل هم من ألمؤمنين».

«لذلك يجب أن تكون هناك حرب. لأن هناك الكثير من الخطايا في العالم.»

قلت في حيرة: «لا يا قديسي». «منذ أن كنت طفلًا صغيرًا توجد حروب وعذابات.

في آسيا الصغرى حيث أُسرت ولكن أيضًا عندما أتينا إلى اليونان.

«إذن يا إلهي، إذا حدثت الحرب فجأة ، ستهلك الأرواح قبل أن تتوب».

أجاب **القديس يوحنا** بحزنٍ وبصوتٍ ثابت:

« يجب أن تكون هناك حرب ،

يجب أن تكون هناك حرب ،

يجب أن تكون هناك حرب» ،

ومضى يقول إنَّهُ ستكون هناك بعض الفيضانات والحرائق والكوارث الأخرى في منطقة إيفيا وفي أمكنة أخرى.

كل ما قاله **القديس يوحنا للشيخ يعقوب** تلك الليلة حدث بالفعل ويحدث ...

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122